

محمود حسنين

رواية

الجَّاكْرَنْدَا

J A C A R A N D A

ساوند للنشر والتوزيع



حسانين، محمود

الجاكرندا: رواية/

محمود حسانين. - الجيزة: مكتبة ساوند للنشر والتوزيع، ٢٠١٥

ص؛ سم.

تدمك ٩٧٨ ٩٧٧ ٥٣١٧ ٣١ ٥

١- القصص العربية.

أ- العنوان

٨١٣

رقم الإيداع ٢٣٥٣٨ / ٢٠١٥

ISBN 978 - 977 - 5317 - 31 - 5

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأى ساوند للنشر والتوزيع.

جميع الحقوق محفوظة



٢٩ شارع محمد عبد السلام، خلف كايرو مول

الهرم - الجيزة - مصر.

تليفون: ٠١٢٧٧٧٨٥٩٧٣

Email: soundforpublishing@gmail.com

الطبعة الأولى: ديسمبر ٢٠١٥

تصميم الغلاف: كريم آدم.

تصحیح لغوى: أحمد جاد الكريم

الإخراج الفني: أحمد الطيب.

الإشراف العام: أحمد النّمس.

جميع الحقوق محفوظة

لا يجوز استخدام أو إعادة طباعة أى جزء من هذا الكتاب بأى طريقة أو وسيلة نشر

متاحة دون الحصول على موافقة خطية من الناشر.

الْجَاكِرَانْدَا

"Jacaranda"

الْجَاكِرَانْدَا

"Jacaranda"

رواية

محمود حسانين

الإهداء
مَنْ سَرَتْ فِي الْجَسَدِ
إِلَيَّ الذُّكْرِيَّاتِ
الَّتِي
جَعَلْتَنِي
بَقَايَا

مَ ح

مُ

وُد

أسلوب حياة

ليس أقوى أفراد النوع هو الذي يبقى، ولا أكثرهم ذكاء، بل
أقدرهم على التأقلم مع التغيرات.

(داروين)

الكثير من الناس يموتون وقليل هم من تعيش سيرتهم خالدة بين
البشر على مر العصور"

كان مولع بهذه الحكمة التي جرت على لسانه بعدما عرف
الحقائق وتكشفت له أسرار الحياة، كان دائما يتساءل، إلى أي
مدى يكون تأثير الإنسان على الحياة، التمسك بآرائه، العند
والكبرياء، والصفات التي يضعها على خريطة حياته، وكثير هم
من يتخذون السلبية وسيله، وذريعة لأفعالهم، ويكون معتقدهم
الوهم، و أملهم هو السراب، كثيرون يموتون، وقليل هم من
تعيش سيرتهم خالدة بين البشر على مر العصور .

رغم كل المتاعب التي أحاطت به غير أنه يعلم إن كل شيء له
من الأسباب ما يجعل الأحلام، هي واقع لم يستطيع الإنسان
تحقيقه، رغم انه لم تمهله الحياة أن يحقق حلمه في أن يكون
مثال ينحت من صخر الحياة جسدا يبيت فيه من روح الطبيعة
بلمساته، غير انه استسلم مرغما لمتطلبات الدنيا ليعمل مهندسا
في إحدى الشركات الخاصة، رغما عنه كانت إرادة الحياة أقوى
من إرادته، كان لا يعلم أين تقبع الأمانى حتى يذهب إليها
ليقتنص من بينها أمنيته، يتململ وهو يفرد ذراعيه في تكاسل،
ويسمع صوت طرقعة مفاصله وهو يشد رجليه، ويخرج تنهيدة

من صدره، ترسبت فيها أحاديث الأحلام الوردية وغيرها، التي تطوف به في كل مساء، يتذكر وهو مازال مغمض العينين، مشهده اليومي وهو يغادر منزله في الصباح متوقعا يوما ما أن يكون في يوما ما فيه اختلاف محدثا نفسه:

- ولكن فيما الاختلاف..؟! وكل شيء كما هو؛ الطرقات، الناس، حتى ذلك البائع الذي يتفنن في غش الناس بنفس الحيل ونفس الأسلوب، حيث يربط قاعدة إحدى كفتين الميزان بخيط متين من ذلك النوع الذي يستخدمه المنجد، ويربطه بين أصابع رجليه وعندما يضع الزيتون ما انتقاه من طماطم أو بطاطس أو غيرها، فينظر هو إلى حجم الكيس ثم يضغط بأصابعه جاذبا الخيط، لكي تهبط الناحية التي يربط بها الخيط وبهذا لا يعلم الزيتون انه قد بخس له الميزان، فمنهم من يفتن إلى قلة كمية الخضار فيشتري أكثر أو يأخذه وهو مغتاظ، هو وغيره يعرفون عليه ذلك، ولا ينكرونه، ويقعوا في حبال نصبه .

يفتح عينيه بحذر، حتى لا يباغته الضوء الذي غالبا يأتي من زجاج الشباك (الفاميه)، بلونه الأزرق الداكن الذي اختاره خصيصا لهذه الغرفة فهو أكثر شئ ينغص عليه يومه أن يستيقظ ويجد الضوء المبهر في عينيه، ولهذا فهو يطفئ جميع

المصاييح التي بالشقة، ولا يترك غير نور خافت يأتي من لمبة صغيرة تسمى "وناسة" موضوعة "بالبريزة" التي في الممر الذي يؤدي إلى غرفة نومه والحمام، ينتبه على صوت أزيز المروحة التي تترنح على السقف، كأنها إحدى العاهرات، التي تجرعت من كاس الهوى ما افرغ عقلها وفسخ مفاصلها، فأخذت لا تعي الاتجاهات، ولا تدرك ما تصدره من أصوات، وخوفه من أن يأتي يوم يحاول الاستيقاظ فلا يستطيع، حيث تكون روحه فارقت جسده، عندما تهوى هذه المروحة بكل ثقلها وخطورتها، وهي ثملة على جسده، وقتها لن تمهله لحظة فيفقد حياته متأثرا بعدة جروح، بل سوف تتقطع على أثر هبوطها شرايينه.

يفرك عينيه وهو يقاوم النوم، واسترخاء جسده المتكاسل، الذي تجذبه المرتبة كالمغناطيس كلما حاول النهوض، ينهض نافضا كل خموله وكسله، ومتغلبا على متعة النوم في الصباح، وحلاوة الاسترخاء حتى الظهيرة، تتلخص حياته المنزلية بعد عودته من عمله و التي يقضيها بين الصالة والغرفة، التي بها التلفاز والكمبيوتر والمكتبة والمكتب العتيق، أما هو يقرأ، أو يتناول طعاما، يعد لنفسه كوبا من الشاي أو القهوة، أو يشاهد التلفزيون غير مكترث بما يعرضه، وكثيرا ما يجلس على جهاز "اللاب

توب"، يناوش ويراوغ حبيبته أو إحدى صديقاته، يستلقي بعدما يجاهده التعب على السرير الصغير الذي أتى به بناء على نصيحة أحد زملائه، عسى أن يأتيه زائر يقرر المبيت عنده، ينظر في تليفونه المحمول يجدها تشير إلى السادسة والنصف يتركه على الـ"كُومُودِيئُو"، يجرجر قدميه حتى يصل إلى الحمام ينتعل الشبشب البلاستيك، الذي يحذر من لبسه كثيرا، فمنذ أكثر من شهر بعد شرائه، نعمت أرضيته مما جعلها سريعة الانزلاق، حتى كادت في أحد المرات أن توقعه، لولا أن تشبث بطرف الحوض، لكان الآن من أصحاب الشرائح، يومها قرر أن يشتري غيره ولكن الذاكرة لا تسعفه بالتذكر، يخطو بكل حذر إلى داخل الحمام، لطالما كان حلمه في حمام باتساع الشقة به "البانيو" الفخم والحوض المرصع المُكْمَلُّ لباقي طقم الحمام الجميل، الذي كان يراه في إعلانات التلفزيون، وها هو يحقق حلمه حمام في حجم غرفة كبيرة، به كل سبل الراحة، حتى يكون بيت الراحة كما كانوا يطلقون عليه، كثيرا ما كان يغطس في "البانيو" لا يحس بالوقت وهو يداعب فقاعات الصابون، كان يحس بأنه مخدر ومغيب عن الوعي، وهو مسترخ غير مدرك لمرور الوقت..

يغلق الباب خلفه يفتح المياه يتناول المعجون يعالج أسنانه بالفرشاة، يتمضمض، يغرغر، يلقى ما في فمه، وهو يتناول الصابونة ويروغها لترغى بين يديه، يطلى وجهه بالصابون، و يلطمه مرة أخرى بالماء، يتوضأ، يخرج إلى الصلاة يتجه إلى السجادة المفرودة في ركن قصي في الصلاة، كأنها قطعة رسم من سيراميك الصلاة، ينتهي من صلاته يتناول أحد الكتب من على المكتبة يتصفحه بلامبالاة وتكاسل، يلقى به على إخوته فوق "الترابيزة" التي تنن من ثقل الأشياء التي عليها، كتب مبعثرة، أكواب فارغة، باقي أعقاب سجائر في منفضة السجائر، فتافيت خبز جافه، أواني وجبات ال"تيك اوي" فارغة من محتواها، علب "الكانزات" التي تنتثر عليها، لقاء على مساحات متفرقة، بلامبالاة يتناول من على أحد الكراسي "الفوتيه" قميصا و بنطلونا مازالت رائحة الأمس عالقة بهم، يرتديهم يتجه إلى غرفة نومه يلتقط ال"موبايل" ويرش بعض رزاز من زجاجة العطر على قميصه، يتناول "المشاطة" المستديرة يمررها على فروة رأسه، يلقىها من بين أصابعه، يلبس حذاءه و يحكه في ظهر البنطلون، لإزالة ما علق بوجه الحذاء من أتربة، يتجه إلى باب الشقة، يتحسس جيوبه يطمئن على المفاتيح و"الموبايل" يفتح

الباب ويخرج ويغلقه خلفه، هابطا درجات السلم التي اهترأت أطراف بعضها، وتشققت ملامح الأخرى و تيبست إحدها، حتى ظهرت الأسياخ الحديد بها، يأتيه صوت "موتور" المياه وهو يصدر صوته ذو النغمة الحادة، يلقي نظرة عليه في "بير" السلم، قبل أن يوليه ظهره ويتركه وحيدا بصوته يملئ المكان.

تخطو قدماه على أتربة الشارع الذي يقطن فيه، كل شيء كما هو، المياه التي تمتصها التربة أمام المنازل، بعض الورش التي استفتح أصحابها الرزق بإذاعات الراديو، أو بقارئ للقرآن يتلوا، والجالس أمام المحل لا تدري هل هو مدرك لصوته، أم هو مشغول بحجر المعسل و "كباية" الشاي "الاصطباحة"، في طريقه إلى العمل ينحني في اتجاه الشارع الرئيسي يرى على الجهة المقابلة له، نفس المحل الذي يبيع التفاهات، من إكسسوارات النساء، ما كان يطلق عليه في القدم "توك، وينس، ودبابيس"، الآن أصبحت أشياء من أهم مقتضيات العصر بالنسبة لهم، لها مسميات أكبر من حجمها، فينتابك شعور وأنت تسأل عليها، كأنك تسأل عن اسم اختراع لأحد العظماء، هكذا النسوة قليلو الحيلة، وعديمو الفائدة حينما يتعلق الأمر بتفاهتهم.

يتجه مباشرة إلى حيث ترقد مركبته البخارية بجراج قريب من مسكنه، وما إن يقترب حتى يرى تلك التي كلما رآته وهى تنتظر من بروازها المعلق على واجهة البيت، تتناول علبه الألوان، وتحدد على وجهها ملامح غير ما رسمته الطبيعة لوجهها، ترسم نقوشا غير تضاريس وجهها تلون على وجنتيها خطا للاستواء وعلى جبينها مجرى للمياه، عجا لم يلاحظ ولو تغيرا بسيط منذ زمن، وهى كما هي، لماذا لا تكبر بالسن، أو تصيبها أدوار البرد بالأنفلونزا، أو يلفحها الهواء الساخن فيرقدها بحمى تهذي على أثرها مدى العمر.؟

نفس أسلوب الحياة التي يعيشها منذ زمن، لا يتغير من كل ما يحيط به شيء، فالشوارع والناس و المحلات والمباني، وحتى تلك السيارات التي تجرها البغال وهى تجري في اتجاه وسط البلد، على الرغم أن يد التقدم والتكنولوجيا التي حلت على بعض الواجهات الخارجية للمحلات، لن تغير أسلوب حياة البسطاء، بعض الألوان التي تطلّى بها بعض واجهات المنازل بألوان غير متناسقة، حتى تلك المحلات التي زينوها بجذوع النخل و الأشجار، وبعض أنواع من "الحصير" المصنوع من الحلف ذلك

النبات الغير محمود، الذي ينبت بجانب الترع والمصارف في صعيد مصر.

يقولون بأنها موضة العصر وفن تجريدي حينما يرشون عليها بعض الألوان بطريقة عشوائية، غير بعض الأسماء لتلك المحلات التي تحتاج إلى مفتاح لغات متعدد لحل معناها، فهي تجدها مزيج من العربية و الإنجليزية و الإنجليزية و الشعبية و الإيطالية و الهندية ووووو.....الخ.

يتجه إلى حيث توجد دراجته البخارية فيلقى نظرة أخيرة على الشارع الذي يقطن فيه، ويستقل وسيلته المفضلة إلى حيث مقر عمله، يتخذ المسار الصحيح للمرور رغم أن الشارع تسير فيه كل المركبات على هوى أصحابها، غير أنه ملتزم بالسير في طريقه الصحيح، فهو يخشى أن يكدر صفو اليوم عسكري مرور يسحب منه رخصة قيادته أو رخصة المركبة، وفي هذه الحالة لن يستطيع الذهاب إلى عمله أبداً، فالمواصلات داخل القاهرة عبارة عن سباق خيل الريح هو الأسرع في اللحاق بالأتوبيس، أو معركة ضروس بين الأجساد وانحشارها في عربة المترو، يترك شارع هدى شعراوي، ليدخل إلى اتجاه ميدان طلعت حرب ومنه إلى ميدان الأوبرا متجها إلى نفق صلاح سالم حيث يصل

إلى عمله، ينتهي به التفكير عندما يقطعه عامل البوابة وهو
يستقبله قائلاً:

- حمد الله ع السلامه يا بشمهندس.

يتمتم هو في سره دون أن يصدر صوتاً أو يرد على العامل،
فهو لم يحصل كلية الهندسة، ولا يدري شيئاً عن الهندسة، فهو
خريج كلية فنون جميلة، و ليس معهد ميكانيكا وحصل على
معهد حاسب آلي، و ليس دبلوم صنایع أيضاً، و يعمل في قسم
الحسابات في هذه المصلحة الحكومية التي لا هم لها غير
استلام أنونات واستخراج تصاريح، كأنها ميناء سفن و ليس إدارة
حكومية، ما ذنبه ان يكون في قسم الإجازات لا يدري كلها أمور
من تلقائية الحياة وعدم وعيها بمن يحيون بها، وعلى الرغم من
كل هذا فالعامل مُصِر على أنه بشمهندس لماذا لا يدري ؟ وكان
دائم النظر إليه بريبه، محدثاً نفسه: ربما كان يتصنت على
"الشلة " في سهراتهم؟

* * * * *

يمر يومه كباقي الأيام ما بين أوراق وأصدقاء المكتب
وإحصائيات ذاهبة وأخرى آتية وتأشيريات ومراجعات ووجع دماغ،

ودفتر تدوين الأسماء، ينظر إلى رفاق مكتبه المنهمكين في أحاديث مملّة، قد ملها منذ أن استلم عمله، كانوا يشاركونه أحاديثهم حتى ملهم ومل حديثهم، هي ثرثرة لإضاعة الوقت إن جاء وقت الانصراف تجدهم قد فرقتهم ضربة السياط من العجلة لمغادرة المكتب، ويتسابقون كأنهم أعداء في سباق حتى الموت، ينسلخ هو من كل هذا، ويفر من بينهم هاربًا من هذا الملل الوظيفي ومن روتينه اليومي، يستقل وسيلته المفضلة، ولا ينسى أن يرمق العامل بنظرة اعتاد أن يلقيها عليه، و بلامبالاة يستقبلها العامل بابتسامة صفراء، ينطلق مجتازا شوارع العاصمة حتى يصل إلى منطقة وسط البلد وهناك، وكالعادة يوقف دراجته البخارية أمام الباب الرئيسي لأحد المطاعم الشهيرة، بالوجبات البقولية، ويدلف مخترقا صفوف البشر، متأففا من روائح أجسادهم التي تلاحمت حتى أنتجت رائحة هي مزيج من "برفانات" رجالي ونسائي، وماركات عالمية ومحلية، و عطور شعبية، فتأتيه الرائحة تزكم أنفه، لكنه في كثير من الأحيان كان يستنشقا كلون من ألوان الخدر الذي يسرى في جسده بعدما إعتادها، يجلس في المطعم المفضل ليأكل وجبته البقولية المتنوعة، لم يفكر يومًا في تغييرها فهي والوظيفة شيان ارتبط

بهما، يلتهم طبق الفول وأقراص الطعمية وباقي طبق السلطة، ثم يجلس في ارتخاء منتظرًا كوب الشاي ليحبس، فهو الزبون الوحيد الذي يحضرون له كوب شاي بعد الأكل، تعتبر هذه الوجبة هي وجبتي الفطور والغذاء فهو لا يفطر في الصباح، ويزوِّغ كالعادة من العمل قبل الظهر، بعدها يركب دراجته البخارية ويسير في الشارع الطويل الذي ينتهي من إحدى جهاته إلى ميدان التحرير، ليجد نفسه في تقاطع مع شوارع وسط البلد، يشتري بعض الصحف، ليتصفح بعض منها على أحد مقاهي وسط البلد المشهورة، ترافقه دراجته البخارية التي تجول معه كل رحلاته، وكل نزواته، وكل أفراحه، حتى همومه، تشاركه فيها بان تعطب فيصلحها، وهو راكن جنب أي رصيف، فعلا بشمهندس ميكانيكي درجات بخارية كما تقول عنه الشلة، يمتطي دراجته مجتازا شوارع المدينة الصاخبة اللاهثة و الزافرة بحرارة الجو في هذا الصيف العتيق، يذهب إلى منزله لينعم بقسط من الراحة في القيلولة، يلقى بالجريدة وسط أكوام من الجرائد والمجلات التي على "الترابيزة"، التي تتوسط الصالة كما تنتشر نظائر لهذه الأكوام في أرجاء الغرف، حتى الغرفة التي لا يدخلها إلا عندما يريد من الدولار بعض الملابس، يتجه إلى

غرفته المفضلة يضغط مفتاح النور لتضاء الغرفة كما يضغط بتلقائية على مفتاح المروحة التي تبدأ في إصدار أزيزها وزقزقته، ينظر إلى المكتبة التي كادت أن تتهاوى من على الحائط، فهي شبيهة بامرأة حامل مصلوبة في غرفه ليس بها هواء ولا ضوء، فارقت جسدها الحياة وتهدلت أكتافها وتصلبت أعضاؤها، بعدما ثقلت الأرفف المعلقة على الحائط بالكتب والمجلدات، والكثير منها أيضا ملقى على المكتب، الذي تحول سطحه إلى ما يشبه سطح المنزل، الذي يلقي عليه الأثاث القديم للشقق التي لا يعبأ قاطنوها بأسطح منزلهم، اتجه إلى جهاز "اللاب توب" الخاص به، أزاح بعض الكتب جانبًا وهو يضع "اللاب" في الوضع الذي يستريح فيه، يطمئن أن وصلة "النت" مثبتة جيدًا، يوصله بالكهرباء، فهو يعلم أن بطاريته لن تسعفه ساعة على أكثر تقدير، يقوم بتشغيله يدخل إلى صفحته "الفيسبوكية"، ينظر إلى الإشعارات وعددها المهول، ينظر إلى الرسائل التي تجاوزت العشرة، يضغط على خانتها، تتبثق الرسائل بعناوينها وأسماء أصحابها، ينتقى منها واحدة، إنها "مس إيجبت" هذا الاسم التي اختارته لنفسها على "الفيس"، تلك الإنسانية التي شغلت فؤاده واستحوذت على مشاعره، إنها الوحيدة التي انجذب إليها،

أسلوبها، تفكيرها، كلها تتوافق مع جنونه، كان يتخيلها أسطورة
الجمال و أنشودة الحب، كم التقيا في ارض الواقع بعد محاولات
أن يراها، امتزجت أرواحهما، غردا، وكان شدوهما في كل مكان
محط الأنظار، وغيره العشاق، حتى اختارا هذا المكان الذي
أصبح معبدًا يتعبدان للحب فيه، تظللها أشجار من كل الأنواع
والألوان، فاختارا من بينها شجرة واحده صاحبة كرامات في كل
البلاد إنها شجرة " الجَاكْرُنْدَا "، قرر يوما أن يرتبط بها ليمتجها،
كلما تذكر ذلك اليوم، لعن أبوها.!.، الذي رفضه و الذي نكل به
في منزله حينما ذهب ليخطبها.

* * * * *

الْجَاكِرَانْدَا

"Jacaranda"

تذكر أن أجمل ما في الحياة هي الأشياء أقلها نفعا كالطواويس
والورود.

قد تغفر لك المرأة القسوة والظلم، لكنها لا تغفر لك عدم
الاهتمام بها.

لكي تكتب رسالة عشق عليك أن تبدأ دون أن تعلم ماذا تريد
أن تقول وأن تنتهي دون أن تعلم ماذا قلت.
"جان جاك روسو"

يقرأ كلماتها التي تنساب إلى عقله وتغزو قلبه و تأسره، يتذكر
الأيام واللحظات التي كانت تجمعهما في هذا المكان الذي تزين

حديقته أشجار الجَاكْرَنْدَا "Jacaranda"، تلك الشجرة التي كانا يستظلان بها في أوقات النهار، وتقيهما برودة الطقس في الشتاء، كانت جلستهما المفضلة تحتها كانت تحتضن أحلامهما، وأوجاعهما، كانت هي الرفيقة و المؤنسة في وحشة الأيام، كم طال الحديث وهما يجاورنها كم استنشقا رائحة الحب بظلمها، هذه الشجرة مَشْفِي لأوجاعهما، يوما ما أقسم ألا يجعل شيئا في الكون يفرقهما، قال لها يوما وهو ينظر إلى الأوراق الجميلة التي تزينها:

- أن هذه الشجرة، تميمة حظ رغم جمالها غير أنها توجد فيها قوة أخرى، انظري إلى أوراقها مركبة كالريشة الفردية متقابلة، كأنها جناح حمامة رقيقة، والوريقات متطاوله ذات قمة و لون أخضر فاتح والأزهار بنفسجية، بيضاء وزرقاء اللون تظهر في الربيع قبل ظهور الأوراق، فتعطينا شكل حمامة جميلة، وتزرع للظل والتزيين في الشوارع وفي الحدائق العامة، يطلقون عليها في جنوب أفريقيا "مدينة الجَاكْرَنْدَا" لأنها الشجرة الرئيسية في شوارع ومنتزهات المدينة، حيث أنه في بداية الصيف تكتسي المدينة باللون البنفسجي المدهش عندما يصل إزهار الشجرة إلى ذروته، وقوتها الأخرى تكمن في اعتقاد الكثير من الناس

وخصوصا الطلاب والتلاميذ أنه إذا سقطت على أحدهم زهرة "جاكرندا" فسيجتاز جميع الامتحانات، أو انه سيكون من السعداء هذا العام، فالوهم الرابض في عقول البشر لا يعرف موطننا، وقدرة البشر على الاستسلام لكل ما هو مسلم به من خزعبلات لا يفرق بين شخص وآخر ولا بين بلد وأخري، حتى وان كان هذا الوهم في ورقة شجرة.

ابتسمت هائمة وهي تقول :

-ما عرفش إنك عالم في النباتات، عجيب أمرك تقريبا أنت على دراية بأي شيءٍ في الحياة ورغم ذلك أراك تستسلم لأي ظرف من الممكن أن يقسو عليك.

نهض ومد يده واقتطع أحد الفروع الصغيرة وهو يناولها إياها
قائلا:

-ممكن جدا ولكني أقسمت أن اجعل حبي لك لا يمحوه الزمن، ولا تفرقنا الأيام خذي هذا الفرع انه تميمة حظ كما هو معروف عن هذه الشجرة.

احتضنت يده وهي تأخذ الغصن قائلة:

-رغم أنى أعلم أنك لا تؤمن بهذا الكلام غير أنى واثقة من عهدك ولتكن فروع الشجرة هي تميمة أمل لحبنا.

يتذكر كم مرة كانا يجلسان تحت شجرتهما لقد كانت "الجَاكْرُنْدَا"
لهم رفيقة وخليته، و ملجأً ومشفي، من هموم الدنيا، كما كانت
تميمة سعد لساعة اللقاء، تشاركهما أوجاعهما ويبشان إليها
آلامهما، وكانت تميمة الأمل لهما.

يوما قالت له يوما على الخاص في بدايات تعارفهما :

- أنت رجل واثق ومتمرد وتحتاج إلى أنثى تسحب منك الثقة،
ويلك لا تخاف الأنثى، تلك التي غلبت إبليس وسيطرت على
ملوك الشعوب.

ضحك قائلا :

- أنا لها حتي وان كان الحلم بالأنثى المغايرة مستحيل، فهل
من الممكن أن يجعل الإنسان سقفا لأحلامه.....؟

قالت له يوما:

- فليكن أنت من أردت أن تكون مطمعي من الآن، أما أن
أحطم قيودك وأحررك من كيائك، أو تخضع لي، و أكون أنا من
أملكك في حياتك.

قهقه ضاحكا من عصبيتها التي سيطرت على كل حروف
كلماتها، وبكل ثقة أجابها بكلمات متقطعة لا تحوى إجابة
واضحة:

- و أين ذهب تليفونك المحمول، لماذا لم تدخل من خلاله.
قهقهه ضاحكا قائلا لها:

- تليفوني صيني لا يدعم "النت" أصلا يا صغيرتي .
صمتت و كأنه يتخيلها وقد حادثتها نفسها:
ماذا قال لها؟ صغيرتي .

أطلقت زفرتها في رسالة وهي تقول:

- أنا كبيرة في سن الشباب، عندي "٢٢" سنة وتقول صغيرة.
أرسل لها مداعبا :

- بل طفلة في سن الشباب.

أخذت تكتب بتوتر واضح وعصبية زائدة، اتضحت من طريقة كتابتها، وهي تكتب كلمه كلمة كأنها لا تطيق أن تكمل الجملة مجمعة، كأنها تسارع الوقت للرد قالت:
أنت تستغل نقطة ضعفي في كوني مثرثرة، كلا لن أعطيك فرصة أكثر.

قال لها:

- لماذا أنت متوترة وعصبية هكذا.؟

ظهرت عنده إنها تكتب واستمر أنها تكتب لمدة خمس دقائق حتى ظن إنها تكتب له وصيتها ثم ظهرت رسالتها قائلة:

- سلام

قال في باله :

- ولما لا فسلام أيضا عليها.

ترك الجهاز ، واستلقى على سريره وهو يفكر فيها، فهي لسعة الكهرباء التي تتشط كل كيانه، ليبدا العمل في اليوم المميت من ساعات عمل روتينية وساعات عمل إجبارية وساعات أخرى شبه لا إرادية، هكذا اليوم شيئا يصيبك بالتخمة الضجرية، مرارا كانت تلهو مع أصدقائها على مواقع "الفييس بوك" تلعب، تلهو، تسمع أنغام الموسيقى وتعرض صورا ومشاركات.

حينما دعتة مرارا، لمشاركتها اللعب في تلك اللعبة، التي كادت أن تصيب أغلب رواد الموقع بشلل تام " المزرعة السعيدة"، تلك اللعبة التي تناوش كل من يدخل إلى "الفييس" كره صفحته، وكل من يرسله طلب صداقة جديد يكن متخوفاً منه، فهم يطلبون الأصدقاء للعب معهم، وهى تطلبه لكي تنسج معه حبكة المستحيل، فلا هو لها عاشقا ولا هي له ملكة في ممالك عالمه الخالص.

لا يدري على من يرثوا، العبء الثقيل الذي يجاهد لكي لا يبوح به، لقد قرر الهروب من الواقع بكل الأساليب حتى المخدرات بكل أنواعها لم تفلح.

* * * * *

(الثانية عشر وخمس دقائق)

يلقى نظرة أخيرة على الجدران التي نقشت بكعوب الكتب، حتى تصطم عيناه بساعة الحائط، وعقاربها التي تبيست من قلة الحركة، وكأنها تتوسل إليه أن يجعلها تترك الرقم الذي تحتضنه منذ أكثر من سنة، "الثانية عشر وخمس دقائق"

لا يدري يومها أكان هذا التوقيت مساء أم ظهرا؟، لا يهم إنها توقيتات لزمان آخر غير الحاضر، حاضره هو الذي دائما يحاول أن يهرب منه إلى أوهام الذكريات أو خيالات المجهول، ينهض، يستلقي على سريره، يتوسد على سريره يحتضن مخدته محاولا

إيجاد أي من قصص الوهم من عقله الباطن، يتذكرها تحادثها
في مساحات المجهول في حلم يقظته:

- يا قلبها يا من تزين للعاشقين الوجد لها، أترك ترى في عيني
لها شوقا أم أن الحب الذي أطل من بريقهما وهما وسرابا.
يخلق في سقف الغرفة وهو يتذكر كلماته التي كان يناوشها بها
على صفحته :

- يا من تعطي الحياة لجسدها، يا مجرى نهر السر الأبدى
للخلود والفناء.

كانت ترد:

- أنت يا من أن أتيت إلى مرفئي، و أنت ترتع في حدائقي
طفلا جسورا.

يدون تغريدة على (تويتر) في صفحته الخاصة ليحيرها، فهو
يعلم إنها ستري كل تغريداته على (الفيس) لارتباط الصفحتين
بعضهما البعض، لم يلتفت يوما إلى تعليقات الأصدقاء ولا
سماجتهم، بل كان كل همه فيها هي وفي كلماتها.

يتمتم وهو يغمض العينين بقوة كأنه يعتصرهما:

- يا قلبي أعطني من ألف ألف قوة، كي أقاوم سحرها، أعطني
ألف ألف حربة وسيف ودرع، لكي أغزو عينيها، أو أن تكف

الحروب عن ملاحقة من يهواها، أخيرا يا قلبها ترتاح من
عطائك لها هل حقا ارتحت ..؟

هل فعلا لم تعد تعطها إكسير الحياة..؟

لا تقل نعم ففي النون نار تحرق الفؤاد، وفي العين عتاب لم
يأت لتأخر الأسباب، وفي الميم مهر ضاع في طريق الذهاب.
يأتيه من يحاوره، كلمات تأتي من عقله الباطن، يتقلب
كالمحموم، يقترب الصوت:

- نون وعين وميم كلمة تريح الفؤاد إن اكتملت.....

يا قلبها أترك قد فعلت ما فعلت من أجلي، وقلت إنك لم تعد
تعطيها دقات الأمل والحياة، ففي قلبي أنهار من دمع، ونيران
تغلي حممًا بركانية تذيبني، وأنا أقف بين حزن الفراق يواسيني،
وفي مثواها البعد يرسل لي برقية عزاء.

ينظر حوله، يجاهد في أن يشغل عقله بلا شيء غير التفكير
بها، تشغله الفكرة، أيفكر في غيرها وهو في لحظات التجلي،
ولكن كيف؟ يتردد السؤال، يكون كالصدى يترجرج في أذنيه
ويغط في نوم عميق.

تأتيه الصراعات التي تتلاحم، وتمتزج بينها وبين رؤى غير
واضحة للحياة، يرى المحبين وكل من يخطر في ذهنه من

فتيات شغف بحبهن، ومواقف كانت أقصى أمانيه أن يكون فيها، حتى يأتي ذلك الوحش الذي يكشر عن أنيابه، ويرتفع صوته المخيف وينطلق نحوه، يجرى وهو يلتفت خلفه مخافة أن يلحق به هذا الوحش، الذي يسيل اللعاب من فمه يحرك يديه بصورة تلقائية إلى الأمام وإلى الخلف، كأنه يجدف في الهواء مستجديا السير بسرعة، يحس أن قدميه عاجزتان عن الهرولة مثقلتان كأنهما مكبلتان، صوت الوحش يقترب الزئير الأنفاس الحارة التي يحسها برقبته، يحس بشيء يطوقه يحاول أن يصرخ، ولكن صوته لا يتجاوز كيانه، يقاوم مطوِّحا بيديه ولكن بلا جدوى.

* * * * *

يفتح عينيه بصعوبة ليجد نفسه مقيدًا وقد التفت ملاءة السرير حول ساقيه ويديه وحول خصره، يفتح عينيه عن آخرهما وهو يفركهما غير مصدق أنه مازال حيا، يحمد ربه ويحرر جسده من ملاءة السرير، ويحاول النهوض محركا يديه وقدميه، جسده يصدر طرقات كأنه كان في حوض من الجبس.

يأتيه صوت المؤذن يفيق على أذان المغرب، ينهض يحاول الاتزان، يستند إلى قوائم السرير ينثاءب وهو يلوح بيديه يمينا ويسارًا يفردهما، ويرفع جسده حتى يقف على أطراف أصابعه، فتصدر عن مفاصله أصوات مختلفة النغمات يهبط مرة أخرى على رجليه، يتحرك في اتجاه الصلاة يتذكر ثم يعود إلى حيث المطبخ، يتناول بعض من الآكلات السريعة التي تكتظ بها الثلاجة، وهو واقف أمام القطعة السفلية للمطبخ الخشبي، يشعل "البوتاجاز"، ليحضر لنفسه كوب الشاي الذي يفوقه قبل أن يأخذ دشا، ويعد قهوته المفضلة، يضع إبريق الشاي يغسل كوبه المفضل ذا المقبض الكبير، يضع ملعقة سكر ونصف، يضع فتلتين شاي، يغلى البراد يتناوله يصب منه الماء المغلي، يقبب يتجه إلى الصلاة يضع الكوب على "الترابيزة" المزدحمة، يتجه

إلى الحمام، يدخل ثم يشعل السخان الغاز مع أول ضغطة على محبس خلاط المياه يأخذ دشا، يخرج في سرعة إلى الصالة يحتسى رشفات من كوب الشاي الذي قارب أن يبرد نهائيا، يضعه ويتجه إلى الغرفة يرتدى ملابسه، يدخل إلى المطبخ ثانية يحضر لنفسه فنجان من القهوة يرتشفه بتلذذ وهو يستمع لإعادة برنامج الصباح الذي يقوم فيه المذيع بحل المشاكل التي تأتيه، يأتي صوت المذيع رخيم وهو يقول:

رسالة من الصديق (أ- أ - س)

أرسل يقول:

يأتي صوت شاب يروى:

- أبى لا يريد أن يجعلني أن أسكن معه في المنزل وهو أيضا كل يوم يلقي إلى بالكلمات التي تجرحني مثل:
- الناس كلها شغاله اشمعنى أنت.

- مع العلم أنى لم أترك بابا للعمل و إلا طرقته، حتى لقد أخذ منى أحدهم مبلغاً من المال على وعد أنه سيوظفني، وبالفعل ظهر اسمي في كشوف المسابقة وكان رقمي (١٩٩) وحينما سألت قالوا نحن نأخذ عشرة أشخاص فقط كل ما نحتاج إليه،

فكانت الطامة التي لا أدرى منها فرارا حينما علم أبي بأني دفعت كل ما لدى ولم أحصل على شي فخبّرني ماذا أفعل.

يأتي صوت المذيع وهو يقول:

لصاحب هذه الرسالة أقول:

- معنى أن أباك يرفض أن يسكنك معه، لا لشيء غير أنه يريد أن يدفعك إلى أن تسعى بجد و إخلاص في أن تكون من ذوي المهن أو الأعمال التي تجعل من الإنسان رجل محترما، فهو يكبرك سنا ويعلم كم هي الدنيا مليئة بالمصاعب، فلعله لا يريد منك أن تصطدم بأرض الصعاب، وأعلم أن دفع المبالغ لم يأت بالعمل، إلا بإرادة الله فكن متوكل على الله، في كل سكانتك وحركاتك واجعل لسانك رطبا بذكر الله، وادعوه و أنت موقن بالإجابة كعلم يقينك أن بعد الليل يأتي النهار .

يغلق المذيع ويلقى نظرة أخيرة على أنوار الشقة ثم يفتح الباب ليخرج، يطمئن على المحمول والمفاتيح، يفعل هذا بوضع يديه على جيوب البنطلون كالعادة، يغلق الباب خلفه و ينزل درجات السلم، يستقل وسيلته المفضلة ويتجه رأسا إلى حيث روتينه الليلي، ليقضي باقي يومه بين "الثلة" في مجلس العظماء من أمثاله وسط صحبته.

* * * * *

البرج

إذا سكر قرد أمريكي بعد شربه للبراندي فلن يقربه مرة أخرى،
وهو بذلك أكثر حكمة من معظم البشر.

"داروين"

حينما يصل إلى ذلك المبنى المتهاك الشبيه بعش العشوائيات،
التي تزدهم بها منطقة وسط القاهرة ومصر القديمة، ينظر إليه
متعجبا هل هذا برجهم العاجي؟

يتجه إلى مدخله الذي لا يكاد أن يظهر من بين الظلام الذي
يحيط بالمكان، كالعادة يستقبله ذلك السلم المتهاك الذي غالبا لا
يتبين درجاته من الظلام، يتحسس طريقه يشعل "فلاش الكاميرا"
التي بالتليفون، تتبدد الظلام بعض الشيء، ينظر إلى درجات
السلم الذي كلما صعد عليه، درجاته تصدر أنينا كأنها تتوجع
من كسر في أرجائها، لا يدري هل من كم الذنوب التي يقوم بها
كل من يرتقي درجات هذا السلم، أم من كهولة الزمن عليه، لا
يدري؟

فكل مرة يقسم أنه سوف يتكسر به أو بأحد رفاقه، رغم أن
المبنى كله شبه آيل للسقوط، غير أن هذا السلم دائما ما يجعله
يشعر وهو صاعد عليه أو هابطا منه أن ينتابه إحساس بأنه لم
يصمد كثيرا، رغم أن الحائط المجاور له تعثره الرطوبة التي
هتكت كثيرا من ستر الطلاء الذي عليه، حتى ظهر الطوب
مكشرا عن تجاعيده من فرط تعاقب الزمن عليه، و الذي لم تعد
له من آثار التراب أي ملامح لونية، يصل إلى الباب المؤدى

إلى حفلته اليومية، يجده قد تخصصت ضلقاته منذ زمن فأصبح
مُعوجاً دائماً الانفراج رغم غلقه.

يستقبله "بواب القعدة "

كما يطلقون عليه بالتهليل و يهتز كرشه، فهو سمين ذو وجه
تركت عليه الأيام أثر غائر على خده، حاول أن يجرى عليه
تجميل، ولكن الله أوقعه في أصحاب الذم الفاسدة، ففشلت
العملية، أو هكذا خيل إليه، المهم هو يضحك باستمرار وعنده
من اللامبالاة ما يكفي شعب بأكمله، ويمتلك من الرخامة ما
يجعله الفيروس الوحيد الذي يجعل اليهود يتركون له فلسطين
بدون شرط، فهو يأخذ من الحياة كل شيء بلامبالاة ولا يكثر
لأي حدث، ولا تؤثر فيه أي فجيحة، حتى وفاة أمه التي تؤويه
هو وأسرته في بيتها، لم يكلف نفسه أن يقيم لها عزاء، بل قام
بجمع بعض التبرعات من أهل المنطقة لـ"خرجتها وكفنها" ،
وسار وراءها وعند المسجد ترك الناس تقوم بالصلاة عليها و
انتظرها خارج المسجد مع بعض الأهالي، وأودعها تربتها ومن
يومها وهو "بيتفشخر" بالقسم برحمة أمه، كأنها وسام يتباهى به،
وهذه شيمة كل العاطلين أمثاله، وحينما يضيق به الحال
يعمل "بالحته" في محل أدوات صيد، وكلما أنجز شبكة صيد

يأخذ ما فيه النصيب و ينعم نفسه براحة يومين، وترك أولاده يعملون في مهن مختلفة، بعدما أخرجهم من المدرسة بعد حصولهم على الشهادة الابتدائية، فهو مقتنع أن الشهادة ليس لها فائدة في الحياة، فمنهم النجار ومنهم السباك ومنهم بائع شاي في أحد المواقع الخاصة "بالسرفيس".

يعنى زى ما يقول :

- الشهادة بتتعلق على الحيلة المهم الصنعة.

يستقبله كالعادة مهلا وهو بيتسم، ابتسامته البلهاء التي تجعله أقرب إلى طفل فاقد الاتزان قائلاً:

- أهلا بالشيخ بتاع ربنا يا راجل بتصلي وتحشش ده عيب على دقنك...، ولا أقول لك هي فين أنت من غير دقن أصلا.
يفهقه الحاضرون كالعادة أيضا، فيجول ببصره بينهم كأنه يعدهم فيجدهم كامل العدد.

صابورة بواب القعدة، لطفي محولجي القعدة، زاهر نكدي القعدة وهو أحمد باشا بنك القعدة، لأنه ثرى بعض الشيء عنهم وموظف في وظيفة تكاد تكون مرموقة وكذلك راتبه كبير.
وكما يقولوا عنه:

أستاذ فشخره و تزويغ و محدش يقدر يكلمه لأنه لما يقلب على
الوجه الثاني... (سباب وهمجى).

* * * * *

هو الوحيد الذي لم تواجهه أي مشاكل أسرية، فقد ترك اهله في
بلدته منذ ما يقرب من زمن بعيد لا يعد يدرك مداه، واستوطن
في القاهرة واخذ يعمل في مكتب صغير للكمبيوتر، حتى أتته
هذه الوظيفة، كم انه لم يتزوج حتى هذه اللحظة، فلقد كان عاشقا
من مغرمين الهوى ومن مجروحي الوجد، كم كان يروى لهم عن

(مس إيجبت) هذه الفتاة التي سيطرت على كيانه و أحبها
بجنون، و أحبته حبا فاق الوصف، كان عندما تكون ليلته
"مصهله" يقف ويلوح بيديه وهو يترنح ويهتف وهو ينظر إلى
الجميع:

- اعلم أنها إن أدركتني ستقتلني، هي مجنونة، مجنونة حتى
النخاع، آه يا من في قلبك انهار من دفئ الحب، وأشجارا من
رطب العشق، هل أنت واحة الغد يا قلب المنى؟
ينظر إليهم وهو يترنح وقد اعتادوا منه تلك الحركات يهتف كمن
يمثل على خشبة المسرح:

- في كل لحظات جنونها عشق من نوع ما، أنت ولازلت تملكين
بين جنونك حب لا يوصف، على الرغم من انك متمردة، غير
أنك لي قطة تمارس التودد وتجيد مسح شعرها في جسدي، حتى
تنتثرين الدنيا حولي بهجة، بعدما أظلمت من يأس الحاضر
المعاق.

ها قد عدت برغم ما يعترضني من ألم

لم تفهمني رغم ما حظيت به من وجع

بدون شك هي تعرف أنى لا اكذب، وإن قلت فلك صدق المعني
.....

فلا داعي أن تفكري في ظنون لا نجنى من ورائها غير البعاد
والفراق.....

أنتِ تعلمين من أكون، فلماذا أنتِ لا تعرفين غير القنوط.....؟
ربما تجمعنا في يوم الأقدار أو تفرق بيننا أيدي القهر في زمن
اللامعقول، ولكن حتما سنعود، وأنتِ تعرفين بأني من أكون
؟.....

رشفت من شراب العمر الكثير، فهل أمهلنتي أن أتذوق طعم
الغربة الذي يذوب في فنجاني الأثير، وأسرق من قلب الليل
ابتسامة أهديتها لكِ على استحياء، عليها تكون ومضة في ضياء
السماء شغلت العين وأخذت ضياءه.

هو هكذا أغلب الأوقات عندما تكون ليلته بها نوع من الدعابة
العالية، وكلما مرت به ومضه من هذا الزمن أو لفته رائحة من
هذا العبق الفاني، الذي بتذكره يسرح العقل ويشدو اللحن، وتتركز
كل الأعضاء لتقف كوقفات الحداد على ما مضى، فقد أحب
هذه الفتاة التي كانت بالنسبة له كل شيء في الكون وحينما
ذهب ليخطبها كان رد أبيها:

- أنت مين وابن مين؟

وانهال عليه الأسئلة ولم يعطه الفرصة للرد.

كان والدها رجل من أغنى أثرياء البلد وصاحب مشاريع ضخمة، ويريد أن يزوجها لابن وزير أو مستثمر كبير على الأقل، أما هو فموظف فقير مهما كانت معه أموال لم تأت شيئاً بجانب الثروة المتضخمة، في لقائه به كان متعشماً أن يكون قد فكر في أن يوافق على الارتباط بابنته، انتزع كل كلماته التي تملئ جوفه و ألقاها في وجه أبيها قائلاً:

- (كن ابن من شئت واكتسب أدبا.... يغنيك محموده عن النسب، إن الفتى من يقول ها أنذا... ليس الفتى من يقول كان أبي)، وكل لبيب بالإشارة يفهم ، وليس كل يملك ما لا غنى و إنما الفهم في مغزى العبارات.

ترك المكان وهو في حالة ثورة نفسية، كادت أن تعصف به، وما إن جلس على ضفاف الكورنيش حتى رن هاتفه وأتاه صوتها دافئ كله رقه تواسيه فقال لها:

- في يوما ما عندما سأل ولد رجل حكيم ما هي حقيقة الحب؟.

قال الحكيم :

- اذهب للحديقة وأحضر لي أجمل زهرة
وذهب الولد للحديقة ولكنه عاد خالي اليدين

فقال:

- وجدت أجمل زهرة، ولكني واصلت البحث على أمل العثور على الأجل منها، وبعدها أدركت أنني قد تجاهلت الأفضل وعندما عدت لأخذها لم أجدها.

فقال الحكيم:

- هذه هي حقيقة الحب، لا تقدره عندما يكون بين يديك ولكنك تدرك قيمته عندما تفقده.

ثم تنهد وزفر بعمق وهو يكمل:

- فليتخيل أي إنسان حينما يقف على حقيقته، وتتلاطم أمواج الحياة على شواطئها؛ حينما تعزف أوتار الشجن لحن الدهشة، حينما يدق نبض المعاني أبواب الصدق، حينما تجوب في كيانات الروح أصداء العبارات، حينما تكون نسائم الجمل تلف الوجدان، حينها فقط سنلتقي بها تلك التي لا يمكن لأي إنسان أن ينساها إنها الذكريات، ولكنك لن تكوني ذكرى في عقلي فدائماً أنتِ حاضر أعيشه مهما باعدت بيننا الظروف. تأتبه كلماتها كأنها سيوف تنغرس في قلبه وهي تقول:

- أنا لا أنتظر أي شيء من الحياة غيرك، لم أكن لأهرب من قبل من الواقع....!، كم سرنا على الطرقات التي تاهت فيها

خطواتنا، كيف ترتمي في أحضان الذكريات، لبيت روحي لم
تسقط في غربة مداك، ها أنا ذا أتمم كالتّي تهذى من حمى
بكلمات بلا معنى ، وعند غروب الشمس تعود إليّ كل لحظاتي
معك لأهرب من واقعي .

أجابها قائلاً:

أحلامي كلها مبعثرة مجنونة، تتراءى أمام عيني بين الوهلة
والأخرى ذكريات لها واقع التحقيق، هربت....، نعم رغم إن
الهروب ليس من طبعي، فأنتِ في عقلي تسافرين بلا موعد
وعلى جثث الأيام تفترشين مواعيد اللقاء، فلا أقول الوداع فأنا
و أنتِ و الحقيقة واقع ملموس، كوني أولاً تكوني فأينما أكون
تتجسد روحك معي.

يتهد وهو يستطرد مكملًا:

- الفترة التي مضت من الزمن الجميل الذي عشناه سوياً، ترك
لنا الذكرى تتخلل في ثنايانا إليّ الأبد، وتلك الوخزات التي
تصيب القلب.

فاجأه سؤالها:

- هل لنا ألا نحلم رغم قساوة الواقع ؟ وهل حقاً تعشقني كما
كنت اسمع منك دوماً.

توقفت حائرا متمتما بينه وبين نفسه:

- كيف لي أن أجبها.. هل فعلا لا تعرف.. وكيف لا تعرف!!
وهي أنفاسي وزفراتي وكل ضوء عيني، هل حقا لا تدري كم هي
عندي غالية لا تقدر بشيء ، لم أتوقع يوما سؤالها .. لم يخطر
لي ببال أن أحاورها في مثل هذا الموضوع.. فهو شيء لا يمكن
أن يوصف ولا يقدر بحجم.

قال لها مجيبا:

إن سألوك يوما عليّ، قل لي لهم ما تشائين، ولئن قلت فكثيرا
منهم صمتا، وإن صمت فكل الكلمات لن تعبر.

يومها عاد إلى أصدقائه وهو في حاله غير طبيعية كأنه مس
من الجان، كان يهزأ ويتحدث كأنه يخاطب الوهم، ينظر إلى
أصدقائه وهم ينظرون له بنظرة بلهاء من هذه الحالة التي وصل
إليها بعدما أخذه الحنين، كان يسحب من المعسل ويترك الدخان
يتخلل جزيئاته، وعندما غيب عن الوعي اخذ يتحدث كالذي
يسخر من الحياة قائلا:

- مهلا أصدقائي كيف تتسون يوما لفراقها القلب ذاب، ومن
فرض غيابها انشغل الفؤاد، انتم وقد كنتم شاهدي على أمري
معها، ألا تذكرون يوما فارقت فيه السحاب السماء هي الصفاء،

يوما لم أرى على الأرض التراب، إنها النبات الأخضر، كيف لا
تذكرونها؟

يلوح بيديه وهو يكاد يدمع من الحزن.

- كيف تتركون ذكراها هكذا بلا اكتراث؟

مهلا أمهلوني فرصه أخيرة، فقد غلب الشوق واللهفة الجسدين،
هي أنثى و أنا إنسان، إن ذهبت تركت في طيف عيني أنوثتها..
وإن ذهبت تركت في ذاكرتها النسيان، كانت وما زالت تلعب في
أقصى لحظات عمرها ملحمة التحدي، نقشت على جدار قلبي
ملحمة الحيارى، وقتلت في كل حجرات القلب لعنة الصمت،
فهل حقا أنتِ محاربة جاءت تقضين على أحلام الوهم.

* * * * *

يخطو إلى حيث مكانه بينهم، فينظرون إليه ويداعبونه وهو يمر بينهم حتى يصل إلى مكانه في الجلسة المزاجية.

ينظر "للمحولجى" المسؤول عن مناولة " الجوزه" للحضور وآخر واحد يشد الأنفاس ويغير الحجر.....!

وهو عكس صابوره نحيل جدا حتى أنك تشفق عليه، من أن يسحب نفسا فيختفي، فلا تجد له أثرا، وهو من الذين نجوا بأعجوبة من حادثة مدرسة بحر البقر الابتدائية، وهو أيضا يكثر في الوصف والفسر، عندما يتذكر الأحداث ويرويها عليهم قائلا:
- أنا فاكرا الأيام دي زي ما تكون إمبراح.

يوم ما استخدمت إسرائيل سلاح الطيران، وكانت تمهد يومها لدفع الطيران بمحاولة التخلص من بعض الرادارات المصرية ونقط المراقبة الجوية.

و قامت إسرائيل بتوسيع الجبهة وامتدادها إلى مناطق بعيدة جدا.

حينما يتذكر الأحداث ينظر حوله وكأنه غير مصدق أنه بعد كل هذا مازال حيا، كل هذه السنين يحكى وهو غير مصدق ما حدث يومها قائلا:

- أنا فاكور من الجرايد اللبي عندي من زمان ومحتفظ بيها، بالتحديد في يوم الأربعاء " ٨ أبريل ١٩٧٠م الموافق للثاني من صفر عام ١٣٩٠ هـ " حلقت خمس طائرات إسرائيلية على الطيران المنخفض، وقامت في تمام الساعة التاسعة وعشرين دقيقة من صباح يوم الأربعاء بقصف المدرسة على طول، بخمس قنابل وصاروخين، وكان الدمار تدمر المبنى كله، وجاءت سيارات الإطفاء والإسعاف لنقل المصابين وجثث الضحايا، وبعدها أصدرت وزارة الداخلية المصرية بيان بالحادث وأعلنت أن عدد الوفيات "٢٩" طفلا.

يبتسم بسخرية عند هذه النقطة وهو يقول:
وقتها وصل عدد المصابين أكثر من "٥٠" فيهم حالات خطيرة ، وأصيب الكثير من العاملين بالمدرسة.
وقامت الحكومة المصرية بعد الحادث بصرف تعويضات لأسر الضحايا.

ينظر لهم وهو يضم شفثيه بغيط قائلا:
تصوروا وصلت التعويضات "١٠٠" جنيه للشهيد و"١٠" جنيهات للمصاب طبعاً مبالغ أكثر من النفس اللبي ماتت.
يكمل وهو يتذكر في مرارة قائلاً:

- من يومها بلدنا قادرة على العطاء وتعويض الشعب.!.، وبعدها جمعوا بعض هدم وكراريس الأطفال، واللى تبقي من ملفات، وبعض بقايا لأجزاء من القنابل التي قصفت المدرسة، وحطوها في متحف عبارة عن حجرة أو فصل وكتبوا عليها عبارة مكتوبة بخط اليد "متحف شهداء بحر البقر"، وبعد كده نقلوا هذه الآثار إلى متحف الشرقية القومي بقرية " هرية رزنة" بالرزازيق.

يتذكر الجميع يومها وهم يسمعون الراديو كالعادة، في الصباح حينما انقطعت الإذاعة المصرية وجاء صوت المذيع وهو يقول بحزم :

"أيها الأخوة المواطنين ، جاءنا البيان :

- أقدم العدو في تمام الساعة التاسعة و "٢٠" دقيقة من صباح اليوم علي جريمة جديدة تفوق حد التصور، عندما أغار بطائراته "الفانتوم الأمريكية" على مدرسة بحر البقر الابتدائية المشتركة بمحافظة الشرقية و سقط الأطفال بين سن السادسة و الثانية عشر تحت جحيم من النيران.

كان واقع الهجوم عنيفاً وأليماً وأشعل حالة من الغضب والاستنكار العام، فلم يكن أحد يتخيل أنه يمكن استهداف مدرسة أطفال في منطقة ريفية بعيدة تماماً عن أي وحدات

عسكرية، خاصة وأنها أتت بعد شهرين من جريمة أخرى عندما قصفت إسرائيل مصنع أبو زعبل والتي خلفت " ٧٠ " قتيلا من المدنيين "

وقتها قيل إنه قام أطفال مدرسة بحر البقر الذين لم يصابوا في الهجوم بإرسال رسالة إلى "بات نيكسون" زوجة الرئيس الأمريكي وقتها "نيكسون" وسألوها:

"هل تقبلين أن تقتل طائرات "الفانتوم" أطفال أمريكا؟! أنتِ الأم لجولى و تريشيا والجدة لأحفاد.. فهل نستطيع أن نذكر لك ما فعله زوجك "مستر نيكسون؟!".

ومن يومها انتقل هو و أسرته إلى القاهرة ولم يغادرها حتى توفي والده وتركه، يكمل المسيرة الحياتية إلى اليوم، فهو يعيش في شقة بها غرفتان وصالة يترنح بين أرجائها جسده الهزيل، من مشقة العمل الذي يقوم به، فهو يستيقظ من نومه ويرتدى ملابسه التي تحس أنها لها نصف قرن أو أكثر لم تغسل، فهو يعمل في ورشة للحام ينهكه العمل فيها، حتى أنه لم يعد يقوى على تحمل العمل، وهكذا يعود من ورشته لينعم بقسط من الراحة بعد الظهر و كل ما يفعله بعدما يستيقظ أن يأكل ويصلي الفروض التي غالبا ما تكون عدت نصفها وهو نائم، ثم يخرج يجلس على

المقهى بعض الوقت وفي المساء يأتي إلى "البرج العاجي" ليلتقي بالصحبة، غير أنه راض بحياته ودائما يقول:
- انه أفضل من اللي مات على الأقل اهو عايش.
و تتم في نفسه و يطلقها صرخة و هو يحدث أصحابه قائلا :
- أنا من يومي فقري حتى يوم ما نجيت من الموت في المدرسة، قعدت في البيت، وحلف أبويا ما يوديني مدارس تانى.
وصحابه هما اللي بقين له من الدنيا.
يأخذ نفس عميق من الشيشة ثم يناولها إلى الجالس بجواره الذي
عندما ينظر إليه بيتسم بسخرية ويقول له :
اسحب يا نكدي.

ينظر إليه زاهر النكدي بتاع القعدة وده أول ما يتسطل يفكر أيام الحروب والشهداء، و أصحابه اللي ماتوا جنبه على خط النار؛ ويبكى ويرتعش جسده، هذا الجسد الفاره على الرغم من تناسقه، كأنه قطع من صخر تجده يرتعش كأنه جسد عصفور، عندما يتذكر آخر حادث له مع صديق عمره في الجيش، رغم انه ممشوق القوام وفاره الطول، وهذا الذي جعله من رجال القوات الخاصة في الجيش، فكثيرا ما قص حكاية صديقه الذي كان بجواره وفجأة اقتلعتة قذيفة لتلقى به على بعد

ميل متناثرا أشلاء، لم يدر يومها كيف اختطفته هذه القذيفة من جواره؟.

وهو لم تصبه ؟.

ولا كيف يجمع أجزاء هذا البطل؟.

الذي لازمه طوال الأيام التي حارب فيها العدو في حرب الاستنزاف، يومها يتذكر جيدا كيف كان في أول النهار يندن معه وهو في غاية الفرح قائلا :

- والله يا أخي هنتصر بإذن الله أنا حاسس بالنصر قريب.

يتذكر يومها كيف كان مع رفاقه أول من كان يتقدم الصفوف في أي عملية خاصة تسند إليهم، وكيف كان يمطر كل من يلحبه من العدو بوابل من نيران مدفعه، وحينما التحقا بفرقة العمليات الخاصة، يوما كان في أحد العمليات هما الاثنين حيث كانا من أمهر و أقوى رجال مكتب العمليات الخاصة، تفوقا في كل التدريبات بجداره، تعرضا للموت بأبشع الطرق في كثير من العمليات، حتى كادا أن يلقيا حتفهما، قامرا بحياتهم في سبيل الوطن، ومن يومها ولم يفترقا.

كان يقص عليهم كيف أسندت إليهما هذه المهمة وقبلوها حتى أتت هذه اللحظة المفجعة وهو ينهار ودموعه تغرقه، يصف

الموقف وكيف كان بجواره في هذه المهمة الأخيرة حتى انتشله الموت من جواره.

حينما يتذكر يوم استدعاهما مدير مكتب العمليات الخاصة وأخذ يتأملهما في تمنع ثم قال ببطء:

- إن ملفاتكما يحملان قدرا من الاستثناءات في الترفيات، و هذا نظير مجهودكما الواضح في المهام التي قمتم بها، ومن أجل ذلك تم إسناد إحدى المهام الخطرة لكما، والتي تعتبر شديدة الخصوصية أيضا، فأنتما تعرفان طبيعة الوضع الحرج الذي نحن فيه الآن، والمهمة لا تتحمل أكثر من شخصين للقيام بها وهي أيضا شديدة الخطورة والسرية والدقة المتناهية، ولا تحتمل أن تنكشف سواء نجحتما أو لم تتجحا عدتما أم لم تعودا. ينهض من مكتبه ويتجه إليهما قائلاً:

المهمة تتلخص في اقتحام مناطق بعينها هناك في قلب الصحراء، وزرع عدة قنابل في اثنين من أخطر الأماكن على الجهة الأخرى، وكل التفاصيل ستجدهما في هذا الملف. أعطاهما ملف به بعض الأوراق لدراسة طبيعة المهمة، وبعدما فرغا منه قاما بحرقه وانطلقا إلى هذا المصير المجهول.

يتذكر يومها وبعد أن أتما مهمتهما وعلى بعد كيلو مترات قليلة دوت الانفجارات، وانطلقت بعدها بثواني مجموعة من السيارات تجوب الصحراء كالمجانين يبحثون عن من تسبب بهذه الانفجارات حتى عثروا عليهم.

وفي قلب الصحراء تحت حرارة الشمس المحرقة، أخذت ثلاث سيارات تطارد سيارتهم التي استولوا عليها من ورديه كانت تمر في الصحراء، وكانوا قد علموا بها من خلال دراستهم لتفاصيل المهمة، وكانوا ينطلقون بها بسرعة جنونية بعدما دوى الانفجار واكتشفوهم، مخلفة وراءها سحابة عالية من رمال الصحراء، وأخذت تراوغ السيارات الثلاثة في مهارة و سرعة فائقة، تدل على مهارة قائدها وتمكنه من السيطرة عليها، حيث كان من المفترض أن يذهب إلى تمركز بعض ثكنات لجيش بلد شقيق هناك، وتسليم أنفسهم ليقوموا بعد ذلك بإرسالهم إلى مصر، تتأثرت خلفهم وعلى جوانب السيارة الرصاصات في انهيار عجيب، وأخذ هو يحاور ويناور، والسيارات الثلاثة خلفهم تطاردهم في إصرار وتحدي.

أخذ هو يحدث صديقه قائلاً:

- واضح أنهم أصروا على اللحاق بنا فقم بتعطيلهم.

وفي سرعة المحترفين استدار وفي يده مدفع رشاش، و أخذ
يمطر السيارات الثلاثة في عشوائية مقصودة من ما اضطرهم
إلى التشتت، فأصبحت إحدى السيارات في إطارها من ما جعلها
تتقلب رأساً على عقب.

واشتعل خزان الوقود بها ودوى انفجارها وفي شراسة أطلق
الجنود من السيارتين الباقيتين مدافعهم، و أخذوا في إطلاق
القذائف الخفيفة في اتجاههم من ما جعل سياراتهم ترتج في
عنف و أصابتهم واحدة و دوى الانفجار.....؟

يهتز جسده بصورة عجيبة حينما يصل إلى تلك اللحظة وينتفض
ويصمت، ولا يشعر بنفسه غير بعد فترة قد تستغرق ربع ساعة
كاملة، ففي هذه اللحظة الخاطفة كان القدر قد انتشل منه
صديق عمره من جواره على حين غفلة، من يومها وهو منهار
نفسياً، من ما جعل رؤساءه يقرروا أن يعفوه من أي عمل في
القوات الخاصة، بل إنهم كرموه، وتقاعد بعدها برغبته وهو في
العقد الخامس من العمر، فهو يعلم أن تلك الحرب العنيفة في
التسعينيات كانت لها ما لها من ويلات لم تزل صفحات التاريخ
لم تفصح عنها بعد.

كم كان يصرخ من بين دموعه وهو يحكى لهم قائلاً:

- فاكرين حفر الباطن! لما كان العسكري الغلبان يعطوا له مرتب ضئيل علشان يضحى بحياته لغيره و الضابط كان بيحلم انه هيرجع بكبشة فلوس بعد الحرب، فقالك أهو الجيش المصري رايح يصلح بين الدول الشقيقة، و في زمان آخر كان يحارب بس بدعوى أخرى و هى "العروبة و القومية العربية"، و هو دلوقتي حرب من الغرب و إسرائيل مقابل المال برضه، بس زى ما بيقولوا "حرب بارده" زي دمهم البارد!...

ينظر احمد إليهم و يغمز زاهر في كتفه وهو يصيح فيهم قائلاً :

- يخرب بيتكوا هتبوظوا الليلة مش كفاية الكابوس اللي كان هياخذ روجي.

يقهقهون و كأنهم لم يكونوا منذ قليل في تذكر وغم، و ترتفع الأصوات و يصنع الدخان سحباً تحجب الرؤية بعض الشيء، وبيدؤون في الاستماع إلى دندنات الشيخ إمام و يندمجون مع كلمات عمنا نجم.

"يعيش أهل بلدي

وبينهم ما فيش

تعارف

يخلي التحالف يعيش
تعيش كل طائفه
من التانيه خايفه
وتنزل ستاير بداير وشيش
لكن في الموالد
يا شعبي يا خالد
بنتلم صحبه
ونهتف .. يعيش
يعيش أهل بلدي"
يعلو صوت أحمد وهو يردد بنبرة عالية وراء الشيخ إمام وقد أخذ
الجميع يطوحون رؤوسهم:
"يعيش المثقف على مقهى ريش
يعيش يعيش يعيش
محفظ مزفط كثير كلام
عديم الممارسه
عدو الزحام
بكام كلمة فاضيه
وكام اصطلاح

يفبرك حلول المشاكل قوام

يعيش المثقف

يعيش يعيش يعيش

يعيش أهل بلدي

يعيش التناوله

في حي الزمالك

وحي الزمالك

مسالك مسالك

تحاول تفكر تهوب هنالك

تودر حيات

بلاش المهالك"

ترتص الأحجار وتدور الجوزه بالتناوب على الجلوس، وتغنى
مياهاها إيقاع السهر والنجوى حتى منتصف الليل، فنتعامد
القامات بالكاد وترتعش الأقدام وهى تخطو بتردد إلى الأمام
وتترنح إلى الخلف.

يهبطون السلم الذي يبادلهم الترنح بإصدار أنينه مع كل خطوة
قدم عليه.

يتناول دراجته البخارية ويمتطيها خلفه أحدهم فبالتناوب كل يوم
يقوم بتوصيل واحد إلى منزله.

* * * * *

"مس إجيبت"

"Miss Egypt"

"هل يوجد في الدنيا من لا يعرف هذا الذي تربع على عرش
المحبين، يأمرهم فيطيعوه يلهب العشاق بسياط الالهفة و

المغرمين بنيران الوجد ويتلذذ بعذابهم ويقول لمن يخرج عن
سلطانه:

يا أنت سوف تسير أيام وسنين ولا تعرف انك لى مدين،يا
أنت سوف تعبر الجبال والبحار وتهرب أيضا سنين ولا تعرف
انك عندي سجين، ستعود، فأنا الحب:
لي من الأسماء الكثير، فالعشق والغرام والوله والاشتياق كلهم
جنودي..فأينما ذهبت أسروك.."

يتذكرها وهو ممدد على سريرة، ينظر بعينين سارحتين إلى
مجموعة الكتب المرصوفة أمامه على أرفف المكتبة التي تحتل
حائطين كبيرين في غرفة نومه، وغرفة المكتب أو الصالون.
يتذكرها:

كانت هي التي تبثه شعاع المعرفة، دائما يستمد من عينيها
الكلمات التعبيرات كل الحروف التي خطتها إليه كانت مفاتيح
الطلاسم في حياته، كانت كالزمن الجميل الذي مضى وترك له

الذكرى تتخلل في ثناياها إلي الأبد، وتلك الوخزات التي تصيب القلب كلما مرت به ذكراها، أو ومضة من هذا الزمن، أو كلما لفته رائحة من هذا العبق الفاني، الذي بتذكره يسرح العقل، ويشدو القلب، وتتركز كل الأعضاء لتقف كوقفات الحداد على ما مضى، وتنتبه الأحاسيس على دهر بأكمله لا يتحرك. يوماً قرأ على صفحتها، مع إشارة إليه منشور مرفقا مع صورة لها:

أعترف لك بأنني كنت امرأة عاشقة، لأنني فشلت في الاحتفاظ بك أطول فترة ممكنة، لأنني عجزت أن أكون مثلهن في كيدهن، كنت أقول لنفسي أنت تستحقين اللقب "مس إجيبت"، لم أرتد لك أقنعة الخداع التي يمارسن بها الحب، سامحني لأنني كنت عاشقة، كنت عاشقة غبية أو كما تقول طيبة، لم أغير نبرات صوتي، كنت أظن أن الصدق لوحده يكفي، وأن النقاء في الحب أبقى، وأن الغياب إن حدث فالوفاء أقوى، فسامحني يا معشوقي وكل ذاتي فلعل الغد يفاجئنا بقاء..

وكتبت له على صفحته بعدها قائلة:

يا خوف فؤادي من غدي.....!

راسلها يومها على الخاص قائلاً:

"يا خوف فؤادي من غدي، كم ترنمت بها مع أم كلثوم حتى
اليوم وهى من مفضلاتى"

ماذا أفعل في يوم قصدت مرفأ للبهجة .؟ فطارت مع روتين
الحياة بهجتي...

فهل في العين تكمن الأسرار، و لغة العشق وسماء صافيه بلا
أمطار .

يتمتم :

دع قلبك ينطق ما يشاء، دع قلبك ينسى كل الأسى .

فرفقا بنا أيها القطار الفاخر ففي قطار المآسي أناس صاروا
رفات يحتاجون من يأخذ بيدهم...

يكتب على صفحته الشخصية على "الفيس":

"حبييتي ومازال السؤال يلح كلما حاولت الهروب منه، هل تكون
حقا الحياة مصير لفراننا..... إن كانت يومها ستكون

مثنوى لموت الإنسان.....؟"

يعلق على نفسه في "البوست":

"أنا أفكر، إذن أنا موجود، قالها ديكارت، و أنا موجود يا
ديكارت"

يعاوده التجلي في محراب تذكرها يكتب على صفحته:

"كلما نتخيل عدم رؤيتنا لما مر علينا مرة أخرى نتقطع أوتار تشدو بالحنين، الشدو بما لا يوجد ..! الأطياف التي تمر على الكيان، لا يمكن أن تكون شيء مادي ملموس، بل كثيرًا ما تكون كلمات لأغنية، أو ربما يكون صوت لشخص يتلو آية من القرآن."

يغمض عينيه بقوة، كأنه يضغط على القلب، ليعلن أنه لم يستحق أن يعيش إنسان بدون ذكرى، يترك عقله يسرح ويتكلم بلا قيود:

- لقد أصبح التخيل وهم والتذكر سراب، لا ينفصلان فكلاهما، لم يراهم الإنسان، ولعله يعيش حقيقة ما؟
حينما تقع عيناه على منظر بالأفق لاح في وقت بعينه، أو سحابة ترسم وجه مألوف ...، فتسحبه أقدام الزمن إلى أرض ليس بها غير تربة، تشع منها حبات بألوان ترسم صور مألوفة، وأطياف تعزف أصواتاً ليسبح فيها الإنسان إلى المجهول.....

يسرح بفكره يحاوره عقله:

لكل فرد وجهة نظر في محور ارتكاز الحياة، والذي يضعه لكي ينطلق منه إلى ما يتراءى لعقله من تصرفات وأفعال.

يستدرك محاورا عقله:

حتى الأفعال والأفكار، تكون شاهده على مقدار المعرفة و الثقافة التي نسعى لكي تكون هي أسلوبنا الحياتي، وإلا قد تجر العشوائية في أذيالها كثيرا من الناس إلى هوة عميقة من التخبطات، "أليس الفرق بين العقل والجنون شعرة"، كما يقولون أليست هذه التخبطات التي أخذت بـ"زنيه ديكارت" إلى عالم من التخيلات، التي شككته في وجوده لنفسه، إن هذه الأمور وعدم الثقة بالنفس تؤدي إلى انفصامية، إذن لماذا لا نثق في أنفسنا، ونسيطر على عقولنا ونجعل الدوافع من مكنوننا، لا من تصورات عقول مريضة، إن داءنا ليس عضال ، مرضنا في قلوبنا، يوما حلمت بأن أكون شخصا هلامياً، أخترق الأشياء ولا تخترقني، أبحث عن متاعب الآخرين ولا أكثرث بمتاعبي، أحلم بأن أمتلك الدنيا، ولا آخذ منها شيئاً، هي فرصة لحب امتلاك الأشياء، ولكن أكون هلاميا وغيري لا يراني، كيف إذا استعرض قوتي وجبروتي.

ترتسم سرابات وخيالات في أرجاء الغرفة المظلمة، قد يكون هناك من يملك السيطرة على الآخرين بقوة خفية يرتعد ويتمتم ثم يبخلق في اللا شيء.

و يتحدث مع مجهول:

أعطني قوة أجتاز بها كل المحيطات، وأعطني فرصة أحارب بها كل الأعداء، أعطني أموالاً أرسم بها على الوجه العيوس ابتسامة الفرح، هل الموت كائن ملموس، أم إحساس كائن بين النفوس، يا من تجهل أمور الكون، دعني أعلمك أنى قد مرت بي تجارب الموت، كنت في كل لحظة أستشعره، قريب جداً، هو بين طيات الكتب، بين زفرات الأنفاس، بين الخواطر، بين حيرة التفكير، ليته لم يكون، ليت الأخبار عنه لم تصل إلي عالمنا، ليتنا كنا أو لم نكون أحياء، ليت هذا الموت أتاني منذ فجر التاريخ، تاريخ ميلادي، ولن يعطني فرصه للحياة، ليته فعل، ما كنا نجرعنا من الحياة مشروبها المفضل، الفقد؟، سؤال إجابته في كل خطوة في الحياة، في كل اثر من خطى البشر، في كل لفته من نظرات الإنسان.

تنتقل منه آهة مكتومة، وهو ينظر إلي تمثاله الذي لم يكتمل، محدثاً نفسه:

- يا ترى كيف ستكون ..؟ هل حقاً سأنجح في إتمامك كما ينبغي..؟

كان عليه حقا أن يبذل المزيد من المجهود والمهارة، لكي يكون حقا طبق للأصل، يعرف جيدا انه لن يستطيع أن يفعل شيئا حقيقيا كالأصل، ولكنها محاولات لجعل الوهم حقائق.

اخذ ينظر حوله لقد استغرق أيام لم يذق فيهم طعم النوم، لقد أجهد نفسه حتى انه لا يقوى على أن يقف على قدميه، من شدة الجوع و الإرهاق، ألقى جسده إلي الخلف مستندا على ظهر الكرسي، ثم اعتدل وهو يحاول النهوض، كان الأمر صعبا، فله أيام يجلس وما إن يقف حتى يسارع إلي الجلوس مرة أخرى، ليعمل من جديد في مثاله، اخذ يتحامل على نفسه، وهو ينهض حتى استطاع أن تنفرد قامته بانحناءة، تعكز على ظهر الكرسي، وهو يلتمس الأشياء حوله، حتى وصل إلي غرفة نومه، وهناك بدون أي تصرف ألقى بجسده على السرير دون أن يغير ملابسه، أو ينظر إلي السرير هل عليه شيء أم لا، كان كل أمله هو الوصول إليه، و إلقاء جسده عليه، وها قد فعل فليترك لجسده فرصة افتراس النوم، ولم يمهل جسده أكثر من هذا للتفكير بل افترس وجبة النوم التي أمامه واغتمها لنفسه.

خيالات وشخوص، و أشكال هلامية تنقض عليه، يزيحها بيديه، و أصوات تنبعث من كل اتجاه، يحس بكلايب تنقض عليه،

كأنها أنياب وحوش مفترسة، تحاول الوصول إلي لحم جسده، وهو يقاتل للإفلات منها، بلا جدوى فهو يحسها جيداً، يحاول أن يبتعد بلا طائل، يصرخ يجاهد يركل بقدميه ويطوح بيديه ولكن كل محاولاته تأتي بالفشل.

ينتابه صداع يمزق أجزاء رأسه، يمسكها بكلتا يديه، يضغط بكل قوة عليها بلا جدوى، يلجا إلى وسادته التي تقضى معه ليالي الشتاء وزفرات الصيف، كم عاصرت معه أحلاماً جسام كان فيها رئيس وملك وإمبراطور.

جسد من اللحم قصور، ومملكة فيها صارع الجبابرة وعطف على الفقراء؛ يتناولها يترجى منها الاستشفاء، يضغط بها على رأسه، ولكن هي الأخرى بلا جدوى.

تغفوا عيناه تنزوي ذاكرته بعيداً يلفها الضباب. يهتز كيانه، يرتجف، يفيق على صوت الآذان، يفتح عينيه، ينهض، يذهب إلى الحمام، يتوضأ، يصلّي، تأخذه الروحانيات الربانية، يندمج في صلاته، يجلس لينتلوا التشهد يسلم.

* * * * *

الرحلة

محكوم على الإنسان أن يكون حراً، لأنه ما إن يُلقَى به في هذا العالم حتى يكون مسئولاً عن كل ما يفعله، المرء مسئول مسؤولية كاملة، عن طبيعته واختياراته.
(سارتر)

يفتح عينيه بحذر كالعادة، حتى لا يباغته الضوء الذي يأتي من زجاج الشباك "الفاميه"، ينتبه كالعادة على صوت أزيز المروحة التي تترنح على السقف، يفرك عينيه وهو يقاوم النوم، و جسده في حالة استرخاء، و كعادة كل صباح يجذبه النوم إلى المرتبة كالمغناطيس، ينهض نافضا كل خموله وكسله، ومتغلبا على متعة النوم في الصباح، ينظر في تليفونه المحمول، يجدها تشير إلى السادسة والنصف، فهو فعلا تعود على هذا الميعاد، الساعة البيولوجية قد انتظمت منبهاتها على مواعيده، يترك التليفون على "الكومودينو" ويجر جر قدميه حتى يصل إلى الحمام، يخطو بكل حذر إلى داخل الحمام، يغلق الباب خلفه يفتح المياه يتناول المعجون يعالج أسنانه بالفرشاة، يتناول الصابونة، يطفى وجهه بالصابون، ويلطمه مرات بالماء، يتوضأ يخرج إلى الصلاة، ينتهي من صلاة الضحي، يتناول أحد الكتب من على المكتبة يتصفحه بلامبالاة وتكاسل، يلقي به على أخوته فوق "الترابيزة" كالعادة، ينهض، يحضر لنفسه كوب من الشاي يجلس يرتشف منه على مهل، وهو ينظر في أحد الكتب التي ملقى على المنضدة، يسمع صوت المذياع وهو يعلن عن بدء

البرنامج اليومي لحل المشاكل ينصت جيدا فهو يحب أن يسمعه، يأتي صوت المذيع كالعادة ملقيا تحية الصباح قائلا:
-أعزائي المستمعين واليوم مع رسالة مهمة:
رسالة من الصديقة (ر - أ)

أرسلت تقول تقدم شاب إلى خطبتي، وبعد الخطوبة كالمعتاد أن يدرس كل منا الآخر، ولكن الطامة أن هذا الشاب عنده عقدة نفسية، وسبق له الخطبة أكثر من مرة، وفي كل مرة يترك خطيبته، لتعلقه وعدم نسيانه لخطيبته القديمة، وهو الآن يريد مني أن أسرق له بعض مصوغاتي، ويريد مني أن أتوجه رغما عنى وعن أسرتي التي اكتشفت كذبه وعدم رزاقته، فهو يتصرف كالأطفال، ويبكى في بعض الأحيان، فخبرني بالله عليك ماذا أفعل..؟

يأتي فاصل قصير جدا من موسيقى هادئة كانت تتخلل كلمات المذيع ثم يستأنف المذيع كلامه قائلا:
لصاحبة هذه الرسالة أقول :

- الدنيا أكبر معلم للإنسان، يستفيد منها ويخطئ بها، فعلى الإنسان العاقل أن يأخذ العلم منها ويبتعد عن الأخطاء فيها، ويكون إيجابياً أكثر مما ينبغي، ولا يكون سلبياً يتأثر بكل ما

حوله، ولا يتفاعل مع شيء قد يضره، ولو أخذ الإنسان كل ما يواجهه بأنه أكبر مشاكل الكون، لوجدنا أن مسيرة الحياة قد تتوقف يوماً، والأمر ليس فيه طامة كما تقولين، فعليك يا سيدتي أن تكوني منصفة في الحكم على هذا الإنسان، ولا تتركي لعقلك فقط التصرف، فإن هذا الشاب يريد من يقف بجواره لكي يستقيم حاله ومعنى هذا إلا نجعل منك كبش فداء، كما قد تتصورين ولكن إن لم تجدي أحداً تبثي له شكواك فماذا كنت تفعلين؟؟
فهو يريد لمن يثق به، لكي يفضي إليه بما يؤرقه ، واعلمي أن الله هو الذي اختارك له.

يغلق المذياع، ينظر إلى النافذة يرى ضوء الشمس قد بدأ يتوهج، بلامبالاة يتناول قميصاً و بنطالاً، يرتديهم يتجه إلى غرفة نومه يلتقط الـ(موبايل) ويرش بعض رزاز من زجاجة العطر، على قميصه يتناول المشاطة المستديرة يمررها على فروة رأسه، يلقبها من بين أصابعه، يلبس حذاءه، ويحكه في ظهر البنطلون لإزالة ما علق بوجه الحذاء من أتربة، يتجه إلى باب الشقة يتحسس جيوبه يطمئن على المفاتيح و"الموبايل" يفتح الباب، ويخرج ويغلقه خلفه، هابطاً درجات السلم، وكالعادة ينزل ليخوض يوم جديد، يرى وجوه البشر على كل الألوان في

الطرقا، وهو يعبر شوارع القاهرة، يصل لمقر عمله، بيتسم للعامل المستظرف، يترك له الدراجة البخارية، يدلف إلى الداخل، يضع على وجهه "الوش الخشب" كما يقول، يوزع ابتسامة مغتصبة من بين شفتيه، على كل من يقابله، بعد انتهاء عمله، يتجه إلى مطعمه المفضل وفي الطريق، وجد محلا جديد يفتح وقد قام أصحاب المحل بتوزيع البوستات على المارة، وعمل كرنفال أمام المحل وقد وضع ذلك (الجنتلان) البلونى، وهو يقف ويداعبه الهواء، وقف برهة ونظر إلى عنوان المحل، كان محل للأكل الحديث بطرق مختلفة، هذا كل ما عرفه من خلال ترجمته للألفاظ الحديثة التي وضعت على المحل، قرر أن يخوض التجربة، ويدخل ليأخذ وجبه عليها تتول إعجابه، أوقف دراجته البخارية في المكان المخصص لركن السيارات، واتجه إلى المطعم، وهناك كان في استقباله غير "الجنتلان" الذى يقف رافعا يده وفاغراً فاه، كان هناك "جنتلان" بشرى استقباله بابتسامه عريضة أيضا، و أوصله إلى أحد الترايبيزات و أعطاه "المنيو"، أخذ ينظر فيه، وهو غير مصدق، ما هذا؟ أسماء ومصطلحات غريبة كتبت بالغة العربية:

"تشيكن سيزر سالاد "

"اورينتال جرين سالاد "

"لينتل سوب "

"بيف ستراجانوف "

"وايت صوص باستا "

"ايتاليان رايس "

"فيليه فريش فيش "

يترجم بينه وبين نفسه:

"خس و حطة فرخة "

"سلطة"

"شورية عدس"

"لحمة"

"مكرونه بيضاء"

"رز بالشعرية"

"سمك فليه يعنى من غير شوك و مقلى "

يتتهد وهو يشير إلى الجرسون متسائلا:

- أنت من أي حته في مصر .

بيتسم الجرسون وهو يجيب:

- من بولاق.

بيتسم وهو يقول :

- طاب خليها بلدي.

ويركن "المنيو" على التريزه وهو يقول:

- شوية شربة عدس بقى وحتة الفرخة وخليك الخس، وطبق سلطه، لو تكرمت يا سيدى.

بيتسم الجرسون وهو ينصرف وأخذ هو يميل برأسه علامة التعجب متمتما:

- عجيب أمر هذا العالم، هل أتحدث الآن باللغة الفصحى معه و أقول له، هل لي بقليل من الملح، حتى لا يتهمني بالأمية. يأتية الجرسون بما طلب، يأكل ثم ينظر إليه ويعطيه الحساب قائلاً له:

- كانت أنواع الأكل لديكم شهية.

ويبتسم وهو يخرج من المحل، و يمتطى دراجته مجتازاً شوارع وسط القاهرة، منحرفاً يمينا ويسارا وهو يتخطى السيارات تارة، والناس السائرة تارة أخرى، ويزوغ من أماكن تواجد شرطي المرور، حتى يصل إلى منطقته التي يأوي إليها لينام في هذا المسكن الذي احتواه سنين طوال.

* * * * *

يصل إلى منزله لينعم بقسط من الراحة في القيلولة، يرتقي درجات السلم، يصل إلى الدور الذي يسكن فيه، يفتح باب شقته، يُلقي بالجريدة التي يداوم على شرائها وهو عائد إلى البيت بعد انتهاء عمله، يلقيها وسط أكوام من الجرائد والمجلات، يتجه إلى غرفته المفضلة، يضغط مفتاح النور لتضاء الغرفة كما يضغط بتلقائية على مفتاح المروحة التي تبدأ في إصدار أزيزها، ينظر إلى المكتبة التي تشبه المرأة الحامل المصلوبة، ينظر إلى ساعته المعلقة على الحائط.
(الثانية عشر وخمس دقائق)

يبتسم فهي دائماً على هذا الموعد، وكان القدر أعلن معها عن موعد خفي لا يتغير، يلقي نظره أخيرة على الجدران التي نقشت بكعوب الكتب، ويسرح متأملاً تمثاله الذي لم يكتمل، ثم يلقي بجسده على السرير، ليغط في غيبوبة نوم كما يسميها في كثير من الأحيان، يفتح عينيه بصعوبة ليجد نفسه مقيدا وقد التفت ملاءة السرير حول ساقيه ويديه وحول خصره، يفتح عينيه عن آخرهما وهو يفركهما، يحرر جسده من ملاءة السرير، يأتيه صوت المؤذن يفيق على آذان المغرب، ينهض يحاول الاتزان يستند إلى قوائم السرير، يتثاءب وهو يلوح بيديه يمينا ويسارا كالعادة، ويرفع جسده ثم يخفضه، يتحرك في اتجاه الصالة يتذكر يعود إلى حيث المطبخ، كالروبوت المبرمج يفعل هذا التصرف بدون تفكير، يتناول بعض من الآكلات السريعة التي تكتظ بها الثلاجة، يحضر لنفسه كوب الشاي الذي يوقظه قبل أن يأخذ دشا ويُعد قهوته المفضلة، يضع فتلتين شاي يغلى البراد يتناوله يصب منه الماء المغلي، يتجه إلى الصالة يضع الكوب على "الترابيزة"، يتجه إلى الحمام، يشعل السخان، يأخذ دشا، يخرج في سرعة إلى الصالة يحتسى رشقات من الكوب الذي قارب أن يبرد، يتجه إلى الغرفة يرتدى ملابسه، يدخل إلى

المطبخ ثانية يحضر لنفسه فنجان من القهوة يرتشفه بتلذذ، وهو يستمع لإعادة برنامج الصباح.
يأتي صوت المذيع وهو يقول:
رسالة من الصديق (أ - م - ع)
أرسل يقول:

-

لم يعد يستطيع الاستكمال، حيث رن تليفونه المحمول، وأتاه على الطرف الآخر صوت أحد أصدقائه، يستعجله على المجيء، يلبس حذاءه ويحكه في ظهر البنطلون لإزالة ما علق بوجه الحذاء من أتربة، يتجه إلى باب الشقة يتحسس جيوبه يطمئن على المفاتيح و"الموبايل" يفتح الباب ويخرج.

يستقل وسيلته المفضلة ويتجه رأساً إلى حيث روتينه الليلي، ليقضي باقي يومه بين "الشلة" في مجلس العظماء من أمثاله وسط صحبته، في جلسة الأحبة في برجهم العاجي.

في يوم من الأيام قرروا أن يذهبوا لمولد أحد الأولياء تحمسوا للفكرة، نظر إليهم وعيناه تلمع قائلاً:

- ايبيه ياما سافرت بلاد كثير، وشفيت بلاد اكثر، عرفت ناس وحببيت اكثر ، واكثر حاجه بتأثر فيا السفر والترحال.

نظر إليه أحدهم وهو يقول:

- أنت رحمت هناك تعرفه؟ يا ريت بدل ما نروح إسكندرية وبلاد السواحل.

أحسوا إنها مغامرة مختلفة إلى الجنوب، كالتى قام بها في بداية شبابه، يتذكر ذلك اليوم الذى ترك المدينة بكل صخبها وقرر هو وصديق قديم أن يغزو صحراء الجنوب، يومها ذهبوا وكان يوما ممتع فعلا، من بداية الطريق إلى أن وصلوا إلى المنطقة التى حددوها مسبقا، يومها تركه صديقه واعتلى أحد الجبال وصعد هو ورائه وتركوا سيارتهم، وبعد نزولهم لم يجدا السيارة ولا متاعهم، وظلوا في هذه المنطقة يوم كامل، حتى رأوا سيارة نقل كبيرة فأخذوا يشيرون إليها، فلم يتبينوا من صاحب السيارة أنه سيتوقف، مما جعل صديقه يقف أمامها، وكاد الرجل يدهسه لولا أنه اخذ يصيح ويلوح له بأنهم تائهان، فتوقف الرجل والتقطهما من الطريق أخذا يقصان عليه حكايتهما فضحك وهو يقول:

- وهو فيه حد يجى هنا يا ولدى، كنتوا روحوا الغردقة ولا راس غارب، ولا سفاجا، ولا أي حتة، لكن تيجوا هنا من غير دراية، و في المنطقة دي بالذات ليه؟، ده طريق لسه مافتحوش لسه جديد، ومليان خطر و أنتم أغراب .

يومها كانت مغامرة تستحق أن يفقدوا السيارة، غير أنهم لم يندموا وبعدها بعدة أشهر سافر صديقه خارج مصر ولم يعد من يومها، وانقطعت أخباره.

وتم الاتفاق على يوم الرحلة، وخلال أسبوع، اخذ أجازة من العمل، وجهزوا أمتعتهم، وقام أحدهم متطوعا بشراء كميات كافية من الفحم والمعسل للرحلة، وتطوع الثاني بجمع عدة السهرة، الجوزة، والحجارة، و"خلافه"، وهو تعهد بالمصاريف كالعادة. في منتصف نهار اليوم التالي، تجمع الأصدقاء في مكان السيارة التي ستقلهم إلى وجهتهم، وفي آخر الليل كان العدد قد اكتمل وانطلقت السيارة، يصحبها الصخب إلى حيث المقام ومولد ولي الله.

* * * * *

عالم سرمدى

أَحْيَاؤُنَا لَا يُرْزَقُونَ بِدَرَاهِمٍ
وَبِأَلْفِ أَلْفٍ تُزْرَقُ الْأَمْوَاتُ
مَنْ لِي بِحِطِّ النَّائِمِينَ بِحُفْرَةٍ
قَامَتْ عَلَى أَحْجَارِهَا الصَّلَوَاتُ
يَسْعَى الْأَنَامُ لَهَا، وَيَجْرِي حَوْلَهَا
بَحْرُ النُّدُورِ وَتَقْرَأُ الْآيَاتُ
وَيَقَالُ: هَذَا الْقُطْبُ بَابُ الْمُصْطَفَى
وَوَسِيلَةٌ تُقْضَى بِهَا الْحَاجَاتُ
(حافظ إبراهيم)

(مدد يا صاحب المدد)

"شي لله يا شاذلي مدد يا سيدى عبد الرحيم شي لله يا دسوقي"
"شي لله يا عبد القادر شي لله والقلب حاضر .. شي لله يا
العيدروس شي لله محلى النفوس"
"مدد يا آل البيت وحبائيه"

هكذا انطلقت الحناجر بهتاف غير عادى و أيضا بمنظر غير
عادى، والسيارة تقترب من هياكل غير واضحة في رحاب
الصحراء والناس داخلها ترتج أجسادهم وتقفز مع كل مطب
تأخذه السيارة.

كانت أشعة الشمس قد قاربت على الانحسار وأخذت حرارتها
تخف تدريجيا رغم العرق الذي يتصبب على جبين كل الجالسين
داخل العربة، كانت الرحلة أقرب إلى الانتحار في هذا الجو غير
الطبيعي، لم يصدق نفسه وهو ينظر إلى الصحراء التي تحوط
السيارة من كل الجهات، لقد كان الجو في العاصمة جميل جدا،
فكيف انقلب فجأة إلى هذا الهجير لم يحس بهذا الحرارة إلا
حينما أخذت السيارة تتجه إلى الصحراء موغلة في الجنوب،
أقسم بينه وبين نفسه ألا يعود في السيارة إن كُتبت له العودة،

سوف يستقلها إلى أقرب بلدة بها سكة حديد، ومن هناك يستقل أي قطار حتى وإن كان قطار البضائع، تقترب السيارة من المباني التي اتضحت معالمها، فكانت عبارة عن مسجد بعيد شامخة مآذنته، والكثير من الخيم، وبعض البيوت المتناثرة هنا وهناك، ما أن توقفت السيارة حتى انطلقت الحناجر بصوت عال مرده:

"مدد يا صاحب المدد "

وأصوات أخرى تصيح:

" جينالك يا سيدنا جينالك والدنيا بهدلتنا "

أصوات نسوة ترتفع بالصياح:

"شي لله يا شاذلي مدد يا سيدي عبد الرحيم شي لله يا دسوقي "

"يا شاذلي يا أبو الحسن يا شاذلي "

يا باب علي حملي كادني

ساكن المغارة وتحبك جميع الذكارة يا سيدي

الفم بمرارة و أنا حملي

كادني "

"مدد يا آل البيت وحبابه "

أخذ ينظر إلى للأمتعة وهي تقفز وبينها الأجساد إلى الصحراء الواسعة، التي انتشرت في ربوعها الخيام وبعض المباني المصنوعة من الطين منفردة، وعلى مرمى البصر يقبع المسجد على هيئة مثلث، رأسه إلى الشرق وقاعدته في اتجاه من قدموا من الجنوب والغرب إلى رحاب الصحراء.

يلتفت يمينا ويسارا لم يجد من يسأله، حتى رفاء رحلته، الكل أخذوا يلهون ويتصايحون كما يفعل الكثير، كأنهم مجاذيب، تدور عيناه وسط رأسه، يلتفت خلفه و أمامه تزوغ عيناه، العرق يتصبب على جبهته، الازدحام يتكاثر من حوله، رائحة العرق التي تزكم الأنف، الأجساد المترهلة من السمنة، يكسوها جلباب يغمره البلل من أثر العرق، تحتبس أنفاسه، يضع يده على أنفه ليحجب عنها روائح الأنفاس المختلطة، بروائح العرق وغبار الناتج من وقع الأقدام وهي تجول وتصول من حوله، يصرخ وقد كتم فمه وأنفه مناديا على أصدقائه دون جدوى، ينسلخ من بين القوم، يلتمس طريقا فيه هواء ليتنفس، يقاتل، يدفع ببديه ويزاحم بقدميه، حتى يصل إلى مخرج، من بين الأشخاص يتنفس بعمق، تدخل ذرات من التراب إلى أنفه، يعطس يهرول إلى

اللاشيء، يسمع من خلفه من يناديه، يلتفت يجد أصدقاءه وهم يهرولون إليه يصرخ فيهم قائلاً :

- والله كانت شورة مهيبه إلهي يوريني فيكم يوم.

يتجهون إلى بعض الخيم، فيرحب بهم أصحابها، غير أنه لا يشعر بطمأنينة، رغم قيام أهل الخيم والبيوت المتفرقة باستقبالهم، حيث انطلق من الركب معهم الكثير، وذهب الأكثر إلى حيث رحاب المسجد، تنتقل الأقدام سيرا وهرولة إلى حيث المسجد، الذي أخذت أبوابه تبتلع الوافدين وتهضمهم داخله، لم يجد بد من أن يجرب معهم لحظة الجنون والمجون، اندفع بين أصدقائه الذين التفوا حوله وتصايحوا، واندفع الجميع إلى اتجاه المسجد وابتلعتهم أيضا الأبواب، في الداخل كان المنظر مبهرا الزخارف والأضواء، التي تنبعث من النجف والقناديل الكهربائية، على الرغم من أن النهار هو الذي يحيط بالكون، غير أن المسجد من الداخل كأنه غير طبيعة الكون، ففيه احتياج إلى الضوء، ربما من كثرة الناس، أو ربما من "الأرابيسك" التي على الشبابيك، ينظر يمينا ويسارا في تعجب، يرى حلقات كبيرة من البشر يلتفون ويدندنون، وهم يطوفون في حلقات واسعة وكلما أتموا لفة

توقفوا، أخذ شخص يشبه في هيئته المجاذيب يزعم بصوته، وهو يلوح، والجميع يرفعون أيديهم، وهم يتصايحون بنفس الكلمة:
"مدد يا صاحب المدد"

"شي لله يا شاذلي شي لله يا سيدى عبد الرحيم شي لله يا
دسوقي"

"مدد يا ال البيت وحباييه"

و كأنه في حلم تزوغ عيناها، ويحس بدوار يلفه، يقاتل وهو يشق
طريقه بين كتل اللحم البشرى الذي يندفع إلى الداخل، يحاول أن
يسلك طريق الخروج يلتمس "الأكسجين".

فالقذ كاد أن يختنق، كم تمنى أن يلفظه المسجد عبر أبوابه إلى
الخارج، أخيرا بعد معاناة استمرت أكثر من النصف ساعة،
وصل على الباب انتابه إحساس بأنه سيسقط و أحس بشيء
يقبض على ذراعه، حاول أن يلتفت ولكنه لم يستطع، فلقد وجد
نفسه خارج المسجد، يرى ضوء الشمس يتحسس رمال الصحراء
كم اشتاق للشمس ولرمال الصحراء.

وقف يتعجب من كل الأفعال وهذه المواقف!.

حيث يعلم لماذا أتى؟ ومن أين أتى؟ وماذا سيرى.....؟

ولكن الأمر كان بمثابة له المفاجأة، حيث لم يتوقع كل هذا العدد من الخيم والبيوت الصغيرة، على أطراف مرمى البصر، وهؤلاء الناس الذين أتوا معه والكم الهائل الموجود هناك، السلبيات والمسلمات، تلك التي تسيطر على البشر وكان الدنيا قد خلقت لهم فقط، وكل ما في الكون من مشاكل قد انحصر في مشاكلهم، لم يعلموا أو لم يريدوا أن يعرفوا أن كل البشر لديهم هموم.

من بين الدهشة والغضب، وجد أناس يعفرون وجوههم بالتراب قرابة المسجد، ومنهم من يبكي، وآخر ينتحب، والنسوة هؤلاء اللاتي لا مكان لهن، بين هذا الكم الهائل من الرجال، وهذه الصحراء التي لا قبل لهم بها، كيف هانت عليهم أنوثتهم، وكيف تركهم رجالهم يتحملون عناء ووعناء هذه الرحلة، إلى حيث هذا القطب، ولكن ان كان كل هذا يحدث رغم مرورنا من القرن الحادي والعشرين، إذا كيف كان الحال قبل ذلك.....!؟

يأتيه درويش، يتمتم ويلوح بسبحة الكثيرة، ويجذبه من يده بقوة إلى حيث إحدى الخيم، وقد وضع على مدخلها فروة خروف وعلى جانبها دماء "متجلطة"، تكاد تكون شبه جافه، وفي الداخل فوجئ بأواني كثيرة، وضعت في وسط الخيمة، وعلى

جانبها اصطف قوم على كل شكل؛ نساء ورجال، أطفال وشيوخ، كلهم لوحوا له بالجلوس، جلس القرفصاء مثلهم، ناوله أحدهم رغيف خبز بلدي ضخم بالنسبة له، من هذا الذي يصنع في الجنوب حيث صعيد مصر، وآخر وضع أمامه طبق لحم، وآخر طبق حساء وملعقة كبيرة، و أخذت مجموعة من الدراويش، بالدوران حولهم، رأى درويش هو واثنين من الدراويش يأتون بين الحين والآخر، برجل أو امرأة أو شيخ، وأخذوا يتناوبون عليهم بطعام وشراب.

هذا ماء.....

وهذا لحم

وهذا حساء.....

و آخر أتى بطبق كبير من الأرز المختلط بالخبز البلدي، وتقوح منه رائحة الثوم والخل، وعلى "أطراف الصونيه" قطع تتخذ أشكالا غريبة غمز الجالس بجواره

قائلا :

- الفته حضرت.....!!

نظر إليه فغمز بعينه كأنه يعرفه ويدرك حجم ما قاله

فكرر :

- الكوارع يا سيدى.....!

ولوح بيده في حركة بهلوانيه قائلا :

- مدد يا صاحب المدد مدد يا مولنا.

ينظر إلى أصدقائه الذين أتوا معه فوجدهم، منهمكين في الأكل،
وذلك السمين بواب القعدة، يكاد أن يختفي من أكوام الطعام التي
أمامه، على الرغم من ضخامة جسده، وهو مقبل على الأكل
بنهم، كأنه لم يأكل منذ زمن.

بعد الأكل يخرجون فيجد الساحات تزدهم حول المقام، وبدون
إنذار تجد الكل يسرع ويتخبط ويهرول يسأل :

- هو فيه ايه

الواقف بجواره يقول:

- المداح وصل

- المداح المداح....؟

يردد بين نفسه:

- في بلدي كلهم مداحين، ولما لا، الكل يمدح بس الفارق ده
مداح الأموات، و الأخریین مداحين الأحياء، يعنى نفاق

؟.....

يردد قول الشاعر :

سيدي مجاهد .. نظره ومدد ..

يا سيدنا الحسين ..

ماما يا كريمه ..

يا سيدي على ..

زيد العابدين ..

جد الإشراف ..

نفسية العلوم .. يا ام كلثوم .. يا نبويه

يا آل البيت .. عم يا روبي .. ساكن الفيوم

ببنى سويف .. سيدي أبو الليل

جلال الدين .. يا أسيوطي .. يا بحر العلوم

.. يا قمر أبو تيج

عم يا فرغل

يا آل البيت

سلطان الصعيد .. سيدي أبو القاسم يا طهطاوي

العارف بالله يا سوهاجي

سيدي عبد الرحيم يا قناوي

سيدي أبو الحسن يا شانلي

أبو الحجاج .. ساكن الأقصر

"أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ "

ويقرعون الدعاء بعد قراءة السورة .

تعلموا الأصوات من حوله مرده : :

" اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله
بقدر حبك فيه وبجاهه فرج عنى ما أنا فيه " ٧ مرات " وبسر بسم
الله الرحمن الرحيم "يس والقرآن الحكيم " وبمن اخترته للنبوته
والرسالة من خلقك أجمعين ، وبجميع ما جاء به سيدنا جبريل
عليه السلام "تنزيل العزيز الرحيم " ، وبخفي أسرار الحروف
والأسماء والكلمات التامة.."

يتذكر امرأة عويس صاحبة المنزل الذي يسكن فيه في بادئ
الأمر حينما كانت تشكو أهل زوجها حينما ظلموهم وطردوهم
من البيت واستولوا على المحل ، وكيف أنها ذهبت إلى قسم
الشرطة وعملت محضر وقام رجال الشرطة بمعاينة المحل
والبيت وتمت الإجراءات وفي النيابة كان الحكم يبقى الوضع
على ما هو عليه، وعلى المضرر اللجوء إلى القضاء، صرخت
ونذبت وتسولت من الناس أجرة المحامي وفي النهاية كانت
شكوتها إلى الله، وذهبت إلى المقامات ونذرت النذور التي كانت

تنتسول قيمتها من الناس لتوفي بها النذور وفي النهاية أنتت إلى هذا المكان كما نصحوها وقرأت "عدة ياسين" في هؤلاء الظلمة وعادت وهى مليئة بالآمال و الفرحة وما هي إلا أيام، حتى توفي عويس وندبت حظها على فقد سندها وبعد أكثر من شهر توفي شقيق عويس الأصغر وعلى أكثر هذه الحادثة قرر باقي الإخوة بالتصدق على أرواح أشقائهم فتركوا البيت لزوجة عويس وزوجة شقيقة الأصغر .

تختلط الأصوات والهمهمات تعلوا الصيحات والأدعية هرج ومرج صدق اللي سماه مولد.

يجذبه صديقه منتشلا إياه من وسط هذا الزخم والفكر الذي كاد أن يقضى عليه من كثرة الزحمة وهو يقول:
- تعال تعال مالك أنت وكل ده.

يلوح قائلا:

- يا عم أنت اصبر ده فيه ناس بتقرى عدة ياسين، هي برضه لسه قاعده الحاجات القديمة دي .
يقفه صديقه قائلا :

- لسه كل حاجه قاعده، هنا التاريخ زي ما هو محلك سر،
خصوصا في البلاد دي، حتى الاعتقاد بالنداهة والأشباح
والأسياد والخرافات .

يلوح بيده قائلا:

- ده جريمة ذنب الأطفال دي ايه، يملئوا عقولهم بالمعتقدات
والخرافات، اللي لا تضر ولا تنفع.

يتمتم: هذه المعتقدات ستؤثر في نشأة الأطفال، وصياغة
عقولهم، بطريقة تجعل منهم أشخاصا متواكلين على أهواء
الخرعبلات ومن يخدمها، ويقضون على التفتح العقلي على أمور
دنياهم التي ملئوها بظلمات وجهل إنها من السلبيات وعدم
الفهم..

يلتفت إلى باقي أصدقائه وهم منهمكين في إيجاد مكان لأنفسهم
في إحدى "الغرز" هذا الشيء الذي يشبه المقهى.

يلوح أحدهم قائلا:

- لسه ما شريناش ولا اتصطلنا خالص كلامك علشان أنت
بتفوقنا بالكلام الغريب ده.

نظر إليهم وهو يجلس معهم على الحصير المصنوع من
القش "العبدانى"، الذي تنبعث منه رطوبة تكيف الجو، في حرارة

الصحراء، و ليالي الصيف المقيتة، في هذه البيئة الصحراوية، التي تتوحد معالمها بالجبال والرمال، ينظر إلى التجمعات الدائرية من الرجال والنسوة، حيث يجلس الرجال وبعض النساء يحتسون الشاي المغلي المستوي على "الدميسه"، وينفثون دخان "الجوزه أو البورى" في الهواء باستمتاع، و تتقاذف حولهم الأطفال في طمأنينة، ثم يلتفون حول تجمهر النساء يستمعون إلى أحلى وأجمل القصص والحكايات، من بعض أهل الريف أو عن كرامات صاحب المقام.

ينترعه من تأمله ويشير إليه أحدهم قائلاً:

- يا عم سيبك من فلسفتك وتعالى، ده هنا في صنف هيعجبك

.

يتمتع متعجبا:

- صنف!؟

يرد احدهم :

- ايوه ده على كيفك.

يلوح له وهو ينظر على من بجوارهم:

- صنف ايه يخرب بيوتكم أنتوا نسيتموا احنا فين.

يفهقه صاحب الكرش الممتلى قائلاً :

- أنت ما تعرفش، ده هنا كل اللي أنت عايزه، شايف الحريم
دول .

يلتفت إليه في غضب :

- أنتيل واسكت، ولا أنت عايز تُسخط هنا، يا عم ده هنا في
مقام و ولى.

يبص إليه المحولجى ويقهقه:

- انت اللي مش عارف حاجه ده موووووووولد وصاحبه
غايب، أنت عارف نص الناس دى، جايه تتفسح يا راجل
صاحب المقام مش مدفون هنا أصلا .

ينظر إليه باستغراب قائلاً :

- امال فين يا فتك .

يبتسم وهو يشير بيده:

- في جنوب الصحراء، يعنى آخر الدنيا.

يقول له باستغراب:

- امال كل الظيطة دى هنا ليه .

يلوح له صاحب الكرش

قائلاً:

- دى عادہ، ان الناس تيجى تزور سيدنا، فيتجمعوا هنا جنب
البيير بتاعت الميه، علشان هناك لا ميه ولا نور ولا مكان
الناس تقعد فيه، اصل المقام وسط صخور.
يتمتم:

- والجامع وكل دول بيتمسحوا في الوهم.
اخذ يقهقه بصوت مرتفع وهو يلوح بيده غير مصدق.
فيلتفت إليه اقدم وهو يربت عليه قائلاً:
- هون على نفسك يا رجل، بلاش هتفضحنا يخرب بيتك، انت
عارف بيقولوا ان الفكره دى عملها واحد زمان، بنى "طواف" من
البوص حولين البيير، وعمل ضريح هنا وسماه على اسم سيدنا،
ومن يومها والناس نسيت هناك ويتيجى هنا.
ينظر إليه وهو يقول:

- يعنى ايه ..؟
بيتسم له قائلاً:
- يعنى هنا العريده اللي الناس بتعملها، لو فيه ولى، كان
اتخسفت بيهم الأرض، بص على الحشاشين اللي حوليك وانت
تعرف.

أناهم القهوجي أجش قائلاً :

- تشربوا ايه يا افنديه .

اشار إليه بواب القعدة وقال له :

- هتلتنا جوزه على كيفك وكرس الحجارة ونعم الفحم ومنتساش شاي حبر كوبيه.

نظر إليه وهو غير مصدق ما يجرى حوله مستغربا طريقة صديقه التي تحدث بها، فهو يعرفه ويعرف أسلوب كلامه، غير ما تكلم به مع هذا الرجل صاحب الصوت الأجلش في حين أوما القهوجي برأسه علامة الفهم، وذهب وبعد قليل أتاها بما طلبوا. وتناوبت الأنفاس، تلهب سواد الليل، وصوت الضحكات يعلو في أرجاء الصحراء حولهم، وكل مجموعه منهمكة فيما بينهم يلهون.

ثم تأخذهم غفوة فينامون مكانهم تلفهم رياح خفيفة تتخللها بعض ذرات الرمال التي تجوب الصحراء مصطحبة الرياح في جولتها الصحراوية .

* * * * *

يفيق منتزعا نفسه من حالة الخمول والكسل ، يسمع صوت الأذان معلنا مولد فجر جديد، يغمز أصدقاءه قائلاً:

- يا عم قوم أنت وهوا، الفجر هيفوتنا يخرب بيوتكم، الصلاة هتقوتنا.

يتركهم بعدما فشل في إيقاظهم ويتجه إلى المسجد تتعثر خطواته ، في الرمال ومرة تخوض في بعض الحفر المكونة برك المياه التي لم تجف بعد، و في الأجساد المتكورة التي تغض جفون أصحابها، مثلبستها حالة نعاس شديد، و المنتشرة بغير انتظام في كل مكان.

بعد الصلاة جلس يحصى الغادين والرائحين في هذا المكان الغريب، بطرازه القديم الذي يعود إلى قرون مضت، ينظر بتعجب من صفوف البشر وكل منهم بيده سبحة خشبية طويلة، يتمم بكلمات مبهمة أو لعلها أوردة، المكان يزدحم يتلفت حوله في دهشة، كلهم يتممون بنبرات عجيبة، يستعجب من رائحة البخور الجميلة التي تملأ المكان، بدون أن يرى مبخرة في أي ركن، أو في يد أحد ولا يرى أي انبعاث لدخان في أي مكان، تتردد كلمات سيدنا مولانا أخذ أحد الجالسين على مقربه منه، يتلمل كالجالس على بركان، فجأة يمسك مسبحته ويرفعها عالية وهو يصرخ بصوت مبجوح.

قائلا:

- قوموا لقد حضر .

ترتفع من الحناجر الكلمات، و الأدعية، وتصدر من الأكف الأصوات الناتجة من اصطدام السبح المدلاة من كل يد، وتهرول الأجساد، وتتسابق الأقدام في اتجاه واحد، نحو باب كبير في جانب صحن المسجد.

نظر حوله فلم يجد أحدا واقفا مكانه، سار في اتجاه الباب، ليجد ساحة بأرضية صخرية تطل عليها شرفات دائرية، بها باب يؤدي إلى الخارج، على أعتابه وقف مجذوبا يصيح في كل من يقترب منه.

قائلا:

- هات.....؟

فمد بعضهم يده ببعض النقود.

فيصيح مهللا ويلوح بيده كالمهدد بشيء.....؟

ومن حوله يهرول الجميع، وهم يتصايحون وأيديهم تلوح بالسبح، فجأة يجذبه التزاحم و الأجساد وهى تتحرك، فيتحرك بينهم بلا إرادة، ليصل إلى ركن فيه غرفه بها هيكل خشبي، مغطى بقماش من الحرير مطرز بخطوط ذهبية، وأخرى فضية، والغرفة محاطة بقضبان حديدية، كل زوج منها له لون ذهبي، أو لون فضي،

وتفوح في أجواء المكان رائحة العطور الذكية، وهناك بجوار الضريح جلس شيخ عجوز بملابس بيضاء، وعلى ملامحه ترتسم الطمأنينة وأمامه سله خزفية، بها كثير من السبح، فأعطاه واحدة وابتسم فغمزه أحد الذين يصطفون حوله.

قائلاً:

(لقد بوركنت ؟)

يعتدل ويسير في اتجاه الداخل، ويتجول داخل المسجد، وهو غير مصدق ما يرى من أفعال البشر في هذا العصر الذي وصل إلى ما وصل إليه من التقدم، يسمع أصواتاً تأتي من بين حلقات الذكر وأدعية تتخلل عقله جسده.

"اللهم لا تشمت أعدائي بدائي واجعل القرآن العظيم دوائي وشفائي أنت ثقتي ورجائي واجعل حسن ظني بك شفائي، اللهم ثبت علي عقلي وديني، وبك يا رب ثبت لي يقيني وارزقني رزقاً حلالاً يكفيني وابعد عني شر من يؤذيني، ولا تحوجني لطبيب يداويني ، اللهم استرني على وجه الأرض ، اللهم ارحمني في بطن الأرض ، اللهم اغفر لي يوم العرض عليك "

* * * * *

سار داخل المسجد، حتى رأى الشيخ في ركن قصي، فذهب إليه وهم أن يسأله، فوجده يتمتم بأدعية استراحت لها أرجاؤه، فأخذ يردد خلفه:

"بسم الله الرحمن الرحيم طريقي والرحمن رفيقي والرحيم يحرسني من كل شيء يلمسني، اللهم أعوذ بك من شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد، اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك، عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي اللهم يا مسهل الشديد و يا ملين الحديد و يا منجز الوعيد و يا من هو

كل يوم في أمر جديد، أخرجني من حلق الضيق إلى أوسع الطريق بك ادفع ما لا أطيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أسألك اللهم بقدرتك التي حفظت بها يونس في بطن الحوت، ورحمتك التي شفيت بها أيوب بعد الابتلاء أن لا تيق لي هما ولا حزنا ولا ضيقا ولا سقما إلا فرجت ، وإن أصبحت بحزن فأمسني بفرح وإن نمت على ضيق فأيقظني على فرح، وإن كنت بحاجة فلا تكني إلى سواك وأن تحفظني لمن يحبني وتحفظ لي أحبتي، اللهم إنك لا تُحمّل نفساً فوق طاقتها فلا تحملني من كرب الحياة ما لا طاقة لي به وباعد بيني وبين مصائب الدنيا وتقلب حوادثها كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم بشرني بالخير كما بشرت يعقوب بيوسف وبشرني بالفرح كما بشرت زكريا بيحيى"

كاد أن ينهض بعدما فرغ الشيخ، ولكنه استوقفه وأشار إليه قائلاً:

انا مش "وليا" بس هي عادة، كل سنة أوزعها لوصية والدي، اجلس هنا أوزع السبح، والناس مأرب.

فنظر إلى كم الناس من حوله و.....تعجب.....؟!
خرج وهو يتساءل:

- إن كان صاحب المقام مش في هذا المكان فأين هو.....؟
ومن خلفت تعالت الأصوات وهى تردد:

"لا إله إلا الله عدد الليالي والدهور

لا إله إلا الله عدد الأيام والشهور

لا إله إلا الله عدد أمواج البحور

لا إله إلا الله عدد القطر والمطر

لا إله إلا الله عدد أوراق الشجر

لا إله إلا الله عدد الشعر والوبر

لا إله إلا الله عدد الرمل والحجر

لا إله إلا الله عدد الزهر والثمر

لا إله إلا الله عدد أنفاس البشر"

* * * * *

سار على غير هدى في منتصف الطريق أخذ يوقف المارة في الاتجاهين، يسألهم....! لم يدلّه أحد....

ينبلج الفجر ويولد صبح مغاير، في هذا المكان الصحراوي على الرغم من الكثير من النخيل و الأشجار التي تحيط بالمكان، و التي لم تستطع أن تغير طبيعة الجو العام، ولا طبيعة البيئة الصحراوية، أخذت الشمس في إلقاء نورها ودفئها يرتفع رويدا رويدا، تسلل إلى قلبه شيء من الريبة وهو يحاول جاهدا أن يصدق بأن كل ما حوله واقع.

كيف يكون كل هؤلاء البشر في هذا المكان الغريب، يتجمعون ويفعلون ما يفعلون من أمور لا تمت إلى الدين بصله، فالمنكرات والهرج والمجون لم يتبق من الفواحش والمنهيات غير سفك الدماء.

تلسعه حرارة الشمس بعدما توسطت كبد السماء يترنح وقد خارت قواه ... وجهه يتصبب عرقا.. ملابسه أخذت تفوح منها رائحة العرق نظر إلى حدائه الممزق.. و التي أخذت أصابع قدميه تنتفس من خلال فتحاته المتعددة، أين هذا المكان ..؟

لقد كان يسمع عنه بأنه أشهر العلماء بين أبناء جيله؟ لقد كان يستمتع بحديث والده عنه، وكان يشناق لرؤيته، أراد أن ينقل أصدق صورته عنه وعن علمه للناس، ولكنه بحث عنه بلا جدوى، فلا أحد يعرفه، أبناء الجيل الجديد داخل سياراتهم، أما الجيل القديم منخرط في سباق مرير من أجل لقمة العيش، أما جيله المنقرض فلقد انقرض بحكمته وأفكاره التي زالت، صادفه وهو يجول في أرجاء المكان أحد أصدقائه الذي ابتدره قائلاً:

- فينك يا رجل من الصبح بندور عليك و أنت بتلف لوجدك.
ينظر إليه وهو منهك قائلاً:

- أبدا كنت بدور على مكان الولي الحقيقي.
يقهقه ضاحكا وهو يقول:

- أنا سمعت عن المكان وصاحبه، وبدور عليه علشان انول البركة، بس مش لقيه.

أخذ يجرجر قدميه بصعوبة مستأنف رحلة البحث.. لم يعد هناك أي مكان للطرقاات المساجد. المقابر..، حتى وصل إلى أطراف الساحات الممتدة ومنتشرة هنا وهناك، حيث مقلب للقمامة، الرائحة تتركز الأنوف، الأبخرة.. الدخان المتصاعد، قطط تموء، كلابٌ ضالة، جردان تخرج من بين القمامة تبحث عن أنواع من

الطعام خارج الأكوام، وهو يتابع النظر .. مندهشا كيف وصلت هذه الحيوانات إلى هنا بل من جلب القطط والكلاب حتى الفئران؟

يزيح قدمه ما يعوق طريقه من القمامة ليخطو متجها إلى سبيل من الطوب متهالك بجوار القمامة ظنا منه أنه الضريح .. تظهر تحت القمامة بعض الكلمات على لوحة متهالكة تكاد تقترب من الأرض، وهي مغروزة بين أكوام النفايات، وقف مندهشا وهو يقرأ الكلمات : "مقبرة المغفور له الشيخ (العالم)، ظن أن أهل المدينة قد سمعوه وهو يصرخ:

- يا للهول.....!!

ما يبحث عنه يرقد وسط هذا الكم من القمامة .

ردد ليمة وبيم مفسه:

- حقا مولد وصاحبه غايب.....؟

وقفل عائدا إلى أصدقائه، تتزاحم الأقدام إلى الطريق الفرعي

المؤدى إلى المولد ، وتتصاعد الأتربة . التي ترتفع إلى

منتصف الأشخاص فتلوح الأيدي تدفع الغبار عن الأوجه.

وقف بين الأقدام السائرة في الاتجاهين تتخبط كل منها بالأخرى

يتأمل هذا التجمع الكبير حول شيء يشبه كشك صغير حاول

أن يلقى نظره، لم تخترق عيناه الحجب الجسدية التي أمامه،
الناس يتصايحون الهتافات تملو، يحاول الالتفاف حول الجمهور
يجد نفسه خلف المكان يسمع صوت تألفه أذنيه لكن به بعض
الاختلاف يحاول الإيقان بأنه هو نفس الصوت انه صوت
الأراجوز.. لكن هناك اختلاف عن المعتاد.

فجأة تلتقط أذناه شيئاً أشبه بالأنين يلقى نظره تحت قدمه فيجد
خرقه باليه ملقاة يقبلها بقدميه فيجد الأراجوز ملقى بإهمال
تتعالى الهتافات يتضح بين الأصوات صوت ينادى:

- (ارررب ارررب أحدث موضة الأراجوزة)
و آخر ينادى:

- (الأراجوزة وصلت)

يتعجب أن تكون العبه المسلية التي هزت أركان العالم ضحكا
وفرحا، تحولت إلى أنثى لقد عرفها الجميع على مر التاريخ باسم
الأراجوز ذلك (اللمض ذو اللسان الزالف) الذي يلقى بالقفشات
والإسقاطات على كل ما حوله أيتحول إلى أراجوزة.

ينظر بين يديه ليجد دمية الأراجوز وعلى وجنتيه دمتين
تتحدران وتهويان إلى فضاءات الواقع، يحتضنه يأخذه بين يديه

حقيقية، تخول لي كشف الغطاء عن أدران قلبي..ومعرفة
الصديق الحقيقي.

أحلم أن يكن لي زوجة قوية في قولها لا مرتجلة في
تصرفها..أحلم أن تتوحد الكلمة،أحلم أن أسير يوما بدراجتي
الهوائية وأنا أطوف البلاد بغير جواز سفر، أحلم أن يكون لي
ذاكرة قوية أستحضر جميع الجمل التي قرأتها.

أحلم أن أسير في الشارع لا أرى فيه "قصير بطن ولا طويل
جَبِن"

أحلم أن تمحى جميع الصور في الشوارع، فلا أرى غير صور
الطبيعة، والحقيقة

يؤسفني أن أقول إن في مجتمعنا الكثير من يظن البساطة، هي
صفة المحرومين والفقراء، وكذلك الضعفاء....

ويبقى أن نعرف إذا كان الأطفال يتركون المدرسة لأنهم
يضطرون للعمل أو أنهم يعملون لأنهم تركوا المدرسة لأسباب
أخرى، الاستنزاف التام للأطفال العاملين في الساعات الطويلة
يؤدى إلى حوادث. بالإضافة إلى ذلك، قضاء حد معين من
الوقت والتي تختلف حسب نوع النشاط والعمل يؤثر بشكل خطير

في قدرة الأطفال على التعليم، ضحايا الاعتداء الجسدي والنفسي والجنسي. كل هذا يهدد توازنهم النفسي والاجتماعي. يتساءل لماذا لم يطرق الشباب باب الأولياء ويعتقد كما هؤلاء الناس يعتقدون بهم، إنها الحيرة التي تسيطر على الجميع حتى وإن كان صغيرا أو كبيرا.

الناس تتكاثر على الأرض لكن لماذا هم متصارعون دائما فمجموعة متصارعة على سلطان وأخرى على أموال وأخرى على إثبات الذات وكأن الدنيا حلفت لهم فقط لأجل إن يتصارعون، تخيل وهو يتأمل لو إن الإنسان عاش حياته التي خلقه الله من أجلها وحاصرها في تفكير لثلاث أقسام، عباده الله، العمل من أجل لقمة العيش الحلال.

الزواج لإكمال الدين و إحياء استمرار الحياة بالأطفال و ليزينوا بهم الدنيا لا أن يتركوهم فريسة الفقر والتشرد. يتمم:

لو أن كل هذا تحقق فما هو شعور الإنسان، أن كان الإنسان أكثر إيجابية وتفاعل مع المجتمع، كيف ستكون الدنيا، أولا سيكون شعور الإنسان الطبيعي ، راحة البال والنفس، وثانيا تسير الدنيا في مجراها الهادي الوديع بالسلام بين الناس.

أخذ يتذكر حاله، والسلبيات التي عاش بها، وكيف لم يتخذ
موقف إيجابيا في حياته، حتى مع حالة الحب التي سيطرت
عليه، عزم بينه وبين نفسه أن يتخذ موقفا لحياته، ويغير كثير
منها بعد عودته، لقد كانت هذه الرحلة درس لن ينساه، لكي
يعيش الحياة بكل أوجهها،
أخذ يسير على غير هادى تتقاذفه الحيرة إلى أن وصل إلى
أصدقاءه.

* * * * *

عودة

التفكير حوار الروح مع ذاتها.
نحن مجانين إذا لم نستطع أن نفكر، ومتعصبون إذا لم نرد أن نفكر،
وعبيد إذا لم نجرؤ أن نفكر.
"أفلاطون"

يصل إليهم اليوم خبر جديد، هكذا الدنيا تتسارع فيها الأخبار
السيئة يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر وسنة بعد سنة والقرن الذي
يمضي يأتي بعده مستقبل مليء بأسرار وكوارث لم يتخيلها أحد،
بعدهما أعلنت بعض الأقمار النقط صورة لشيء أسود مجهول
يجول بسرعة في السماء مرة في مصر ومرة في أمريكا ومرة في
المغرب .. تناقلت الإذاعات أخبار الغول تتناقل الأخبار على
صفحات الجميع في "الفيس" وغيره خبر الغول وتلك التي
صرحت وقالت إنها رأته.

الخبر كان كالبركان، فثار كانهجار ليس له حدود، فاق الآفاق
عبر الحدود المكانية، ألقى في كل مكان وزمان حقيقي
وافتراضي شظاياها.

نفس ما حدث عن خبر "تحدى الثلوج" الذي انتشر أيضا بسرعة البرق انتقلت ظاهرة تحدي دلو الثلوج من مشاهير العالم لنجوم الفن، تضامنا مع ضحايا مرض التصلب الضموري، اللعبة لا زالت في بدايتها والنجمات فتح الباب أمام التحدي من أجل الخير فهل يستجيب النجوم تحدى الثلوج أو التبرع لجمعية رعاية مرضى التصلب، كانت الردود والتعليقات والصور تحتل كل مساحات الفيس وتويتر وكل المواقع بدون حدود كاد العالم يصيبه جنون.

يومها انقلبت كل الإحصاءات وكل المعايير لم تجد وقتا للمرح ولا براحا للتفكير الكل يتابع الأعصاب على حافة الهاوية، انقطع "النت" ثارت الكوامن العيون جحظت أمام التلفاز، الأخبار الصور المشاهد وكل متملق وكل متمرد وكل إنسان حاول أن يكون له مكان تسلق أما من هم في ركن المدن البعيدة نسبيا أما لم ينم له جفن، عبر شبكات الهواتف صارت المحادثات والمناقشات، المقاهي ضجت بروادها في كل مكان التلفاز أصبح الملاذ الوحيد من الحمى التي أصابت الجميع، الفقير الغنى يوم حشر الأخبار بالجرائد، اصطفت الأجساد من الساعة السادسة صباحا حتى وصول الجرائد، الناس في خبر عظيم، الكل يلتهم

بعينيه الصفحات، الجاهل يشتري الجرائد ويتصفحها بنهم وتلتهم عيناه الصور، يعطى الجريدة لأي سائر أو جالس يقرأ له الأخبار، التجمعات الدائرية ملأت الشوارع والمقاهي والمساجد والكنائس، ومصالح العمل، حتى شوارب الخضار و شوارب السمك، الكل يبحث الكل يحلل والكل يستنتج.

السؤال يطرح نفسه بكل قوه هل فعلا الغول له وجود وهل ظهر فعلا ؟

يتردد في المكان صدى الصوت وهم يكررون على مسامعهم بعدما تركهم الجمع وظلوا واقفين لا يتحركون.

الغول.....؟

يتمتم زاهر :

- غول ايه ؟!.....!!

تنكسر الحروف من على شفة صابورة :

غ...ول أي ... ه ؟!.....!!

يرتعد ماهر وهو يتمتم بصوت مرتجف لسه هنشوف الموت

تاني مش كفاية...ايبيبييه بس يا ناالس...؟

يتمتم هو بينه وبين نفسه هو احنا في مصر ولا لسه مسطولين

غول ايه مش معقوله أبدا.....!!؟

يجذبه زاهر وهو يقول ايه الغول ده؟

ينظر إليه وهو يجيب:

الغول هو اسم لأحد أنواع الجن النادرة، المزعومة الوجود في شبه الجزيرة العربية، وكانت برغم شراستها كما اشتهر عنها، وأنها كانت من آكلي لحوم البشر أحياءً - وليس عظامهم فقط بعد موتهم كما يفعل بعض أنواع الجن الآن - إلا أن الغيلان اشتهر عنها، حبها الشديد للشعر العربي، وكان يأتهم بيت شعر جميل، كما أنهم كانوا يقرضونه أيضاً وقد اتهم أحد الشعراء في زمانه، بأنه على علاقة بأحد شعراء الغيلان، وأنه يأتي بأبياته منهم، سبحان الله أنظر كيف يجمع بين الشراسة والحس المرهف.

ينظر إليه صابوره قائلاً:

- بس انا عارف ان الغول ده شي من المستحيلات ومش موجود بس بنخوف بيه العيال.
يضحك وهو يجيبه.

قائلاً:

- الغول هو كائن خرافي يرد ذكره في القصص الشعبية، والحكايات يتصف بالبشاعة والوحشية، وغالبا ما يتم إخافة

الناس بقصصه، وهو إحدى المستحيلات الثلاثة عند أهل الجزيرة العربية، في الجاهلية، ولكن عندما جاء الإسلام، تم نفي تلك الأفكار، و قيل هو أحد أنواع الجن كما قلت لك. ينفض المولد فجأة ويهرول الجميع إلى السيارات مخافة الرعب المجهول.

يعودون أدراجهم بعد انقضاء الفترة المحددة للمولد، يعود كل واحد وقد امتلأت نفسه بأحاسيس عجيبة، منهم من أحس بنشوة الرحلة المختلفة والمغامرة التي أتت على هواه وكيف سيصور لأصدقائه أنهم شافوا العجب.

ومنهم من كان في غاية النشوة من الحصول على بركة الشيخ بزيارته في المولد بتاعه، ثم التقرب بأمنه، أو يفي نذر عليه كان يتمنى أن يذهب إلى المولد المشهور في الجنوب ليزور مقام أحد الأولياء العظماء هؤلاء الذين كان يسمع عنهم. ومنهم من لم تؤثر فيه الرحلة بقدر ما أرهقته حيث إنها شاقة وبعيدة.

ضجيج السيارات ينظر إلى ذلك الشريط الذي تسير عليه السيارات كأنه نهر يتدفق إليه الماء بسرعة رهيبية تلك الرائحة التي تملأ الشوارع تخنق مساحات الأكسجين الأضواء التي

تصيب العين من ما يجعل الرأس تدور، أليس هذه هي المدينة التي يسمع بها كأنها الضوء الذي ينير ظلمات المدن المعتادة و الذي كان يتصورها ليل بهيم و المدينة هي شمعه مضاءة ليستمد منها كل عاشق للحرية والنور و الدفاء.

يتمتم

يا لهذه الدنيا كل فرد لا تعجبه حياته.

وكان يفضل الذهاب إلى أي من شواطئ القرى الساحلية، وكان منتظرا أن يكمل الرحلة مع أصدقائه و يذهبون إلى الغردقة مثلا، ولكن كما يقولون دائما لا تأتي الرياح بما تشتهي السفن، فلقد كان لابد من العودة بنفس السيارة التي أتوا بها، فهي الوسيلة الوحيدة للعودة إلى بلادهم وإلى أي بلد بها عمران في قلبي العاصمة .

أما هو فلقد كانت الرحلة مصارحة ومكاشفة، وحلم وفزع من ما رأى، فلقد كانت صدمته كبيرة في كم التوهّمات التي رآها من البشر ومن أفعالهم .

وكيف أنه اكتشف أن الوهم أخذ بعقول الناس إلى التخيل، بدل التصوف، وإلى الخروج بدل التدين، كيف علم أن الحياة هي خداعة، و الوهم هو المسيطر على البشر وليس الحلم .

فهو يدرك أن من الحلم ما يمكن تحقيقه أما الوهم فهذا نوع من العجز والكسل للإنسان .

يتذكر حبيبته وشجرته يتمم بينه وبين نفسه:

- مس إيجبت كم أنا في شوق لرؤياك، يا أرق مخلوق في الوجود، لقد أسكنت الفجيرة الألم بين كل تفاصيل كياني، الجَاكْرُنْدَا يا خلية الحب ورمز الأمل، يا اجمل شجرة في العالم بدون منازع، يا لخيبة الوهم الذي يرغمني على البكاء كلما تذكرت وجعي المسكون بوهج المرارة، ينتابني حلم قد تغيرت ملامحه وعليه غبرة من زمن العصيان والتمرد ، أحلامي كلها مبعثرة مجنونة تتراءى أمام عيني بين الوهلة والأخرى، فهل يعود أمل الغد ويتحقق الحلم ويغفو روحه على أعتاب حزني، أعلن تمردني أبعثر ذكرياتي الأليمة، وأزرع الزهور فرحة بشروق شمس لا لشيء سوي أنني ما زلت أحلم بميلاد جديد، لقد ملت جفون عيني أن تحلم بك أيها الواقع المرير، هل تكتمل عواطفها وكيانها، وتعلن تمردها على واقعها.

فجأة يسود هرج ومرج و تتعالى الصيحات يخرج رأسه من السيارة ليرى، تجحظ عيناه من هول المنظر السيارات التي أمامه تتقلب واحدة و تصطدم بها الأخرى وتتدحرج على الطريق،

وينحرف قائد الثالثة التي بها بعض أصدقاءه عن الطريق لتفادى الاصطدام، فتقلب السيارة في الرمال وتهوى من على الطريق إلى المنحدر اسفل الطريق، فجاه ترتج السيارة التي هو بها، فيمسك بيد زاهر الذي كان يجلس بجواره فترتج السيارة بعنف، وتظلم الدنيا أمام عينيه.

* * * * *

غيبوبة

مشكلة العالم أن الأغبياء والمتشددين واثقون بأنفسهم أشد
الثقة دائماً، أما الحكماء فتملأهم الشكوك.
"برتراند رسل"

يسبح في عالم من التوهمة وهو غير مصدق لما رأى.....؟!
..... ولا هو لسااااه مسطول?
هل فعلا ما رأى ولا زي ما حبيبته كانت بتقول عليه :

الكاتب في الغالب يحمل هم الوطن ومتوقع في ركن قصي
حتى لا يتهم وإن أشار قطعوا أصابعه حتى صار يحمل أكفًا
مبتورة الأصابع .

الشعب مقهور من زمان وإلى اليوم يصدق الكذبة ويكذب
الحقيقة، لم يصدق وكان يحلم بوهم العيش في عهد ولى...اليوم
هو أيضا غير مصدق الحرية ومازال يرتجف أمام التوهّمات
التي تلقى عليه من كل مكان ..

إن كان هذا هو حالنا فقد كفرت كل حروف الكلمات بما تسطره
الأقلام.....!

ارتاح من أعباء كثيرة اكتشف إنها مملة مثل الثرثرة على "الفييس
بوك" و "تويتر" و "لينكدان"، المغازلات كل تلك الأشياء أصبحت
قذرة حقيرة، هكذا نحن إذا وجدنا حدثًا عظيمًا استحققنا ما كنا
نبني عليه الأحلام منذ زمن .

لقد كان آخر قراره التغيير للأفضل ترددت الكلمة في عقله:
- الإيجابية... الإيجابية.

* * * * *

يفيق تسيطر عليه الهواجس تلفه خيالات الوهم، يصرخ داخله
صوت يرج كيانه:

ولما لا فلأكن أنا، وهم من الوهم لا أعرفهم..!
يسبح في غيبوبة تتلاطم أمواجها على كيانه يفيق ويغفو.
هكذا انتهت رفقة الأصدقاء، ومجلسهم وفرحهم وضحكاتهم
انتهت لقد حكمت عليهم الظروف والدنيا وفرقتهم، ليرى الحياة

بأسلوب يختلف شيء واحد أصبح هو سيد الموقف و المسيطر
على كل الساحات "الأنا".

فقد جاء الوجد والهم من كل حذب وصوب، هبط على الناس
كالغمام في السماء .. تكاثف ملاً ما بين أرجاء الخلاء المكانية،
و بداخل جلابيبهم تدثر البشر صاح الطبيب المعالج في من
حوله قائلاً:

- كان الحادث أكثر من مروع، فقد فيه الكثير، ومات اثنين من
أصدقائه، أو بالمعنى الصحيح لم يعثروا على جثثهم، فقد فقدوا
مع الكثير من الجثث التي فقدت.

يومها صرخت هي بكل قوة الكامن داخلها، وارتجف عليه،
ووقفت كالأم التي تتعى حظ ابنها الذي لا هو عائش بينها
تحدثه، ولا هو ميت تترحم عليه، اختلفت كل تضاريس المكان
ما عاد شيء في محله، هو أيضا ما عاد كما كان، له أكثر من
سنة أشهر في المستشفى، لا يدري كم مره أفاق ولا كم مره أدرك
ما حوله، كل ما يذكره أنه يفتح عينيه ثم تظلم الدنيا أمام عينيه
من جديد.

يفيق

يتذكر

ينظر إلى شاشة التلفاز التي أمامه.

تتطلق أصوات التلفاز و الإذاعات خبر هام وعاجل:

- اكتشاف خطير..؟! حيث اتضحت معالم الجسم الغريب الذي ظن الجميع أنه كائن خرافي، غير أنه تبين بعد الاستطلاعات والأقمار الصناعية، التي أثبتت أنه جسم صلب وقامت بعثة من العلماء واتجهوا إلى الفضاء وهناك كانت المفاجأة، اكتشف أنه كوكب عاشر في المجموعة الشمسية.

تكمل المذيعة الخبر:

- ويأتي اكتشاف هذا الكوكب الذي أطلق عليه مؤقتا اسم " ٢٠٠٣ يو بي ٣١٣" بعد اكتشاف كوكب آخر أصغر من بلوتو، كان قد أطلق عليه اسم ٢٠٠٣ إي يو ٦١، عله يكون هو ما أثار ضجة في الآونة الأخيرة حيث يكون مأهول وسكانه خرجوا في رحلة اكتشاف فظن الجميع أن ما رأوه هو شيئا خارقا "

يتمتم بينه وبين نفسه :

- هههههههه، ناس في الهم غرقانة، وناس في أبراج من عاج سكرانة.

يتذكر وعقله مشوش المفاهيم المغلوطة والمصطلحات الغريبة، وأخبار غير منطقية، تصف حالهم بعدما عرفوا طريقهم فسرقوا

الحضارة والعلوم، وقاموا من مستنقع الهمجية وعيشة الأدغال وأصبحوا أسيادا وغيرهم عبيد.

لم يبق غير الفقر والعوز ينهش.

يتذكر هذا الجنون الذي أصاب المشاهير المسمى "تحدي الثلج".
يتمتم بينه وبين نفسه قائلاً:

- أشك أنهم يعرفوا ايه الهدف من وراء التحدي، اللي مفكرينه لعبة مش أكثر، ولا أقل، فهو يعرف أن الفكرة هدفها انك تحس بمرضى الشلل العضلي، اللي أعراضه بتشبه إحساسك حينما تتجمد أطرافك، اللي بيسموه شلل العضلات وبعدها تقرر انك تتبرع لصالح الجمعية الخيرية، وتطلب من أصدقائك يعملوا التحدي ويتبرعوا ..

بيتسم بسخرية وهو يتمتم :

- والشيخ تطلع علينا وتفتي، إن الفكرة أجنبية، و بتدعم الغرب

!!

يتمتم وهو يقرأ شريط الأحداث على التلفاز، والذي يعلن بأن القصف على غزة كان مروعا هذا اليوم.

كم كان يكره الأخبار سواء في الجرائد أو في التلفزيون، كما يكره هؤلاء الذين يتحدثون باسم الدين، وقد أطلقوا لحاهم كنوع من المظهر الديني.

تحادثه نفسه:

أعتقد أن امتنا لديها تحديات أكبر كالجوع، والفقر، و الأمراض، والتحدي الأكبر هو الظلم، والاحتلال و إبادة جيل بأكمله، بالتشويه الإعلامي و الفكري من خلال الثقافة المنحدرة الى الحضيض! بدل الهزل اللي بيهرؤ فيه ده، فعلا ناس معندهاش ريحة الدم.

تأخذه حالة هذيان يفقد السيطرة على جسده ترتخي أعضاءه يهوى فاقد الوعي

* * * * *

بلا أثر

"من بين كل ما كتب: لا أحب سوى ما كتبه الإنسان بدمه.
إذا ما مُتُّ يا أختاه فلا تجعلي أحد القساوسة يتلو علي بعض
الترهات في لحظة لا أستطيع فيها الدفاع عن نفسي" ..
نيتشه

يأتي إلى المستشفى الاستئماري التي دخل بها بعد الحادث وأقام
فيها أكثر من سنة لسوء حالته حين ذاك، زاهر أحد أصدقائه و
الذي نجا من الحادث، يومها هو الوحيد الذي حالفه الحظ وحماه
ربه وجسده القوى من الموت المحقق في هذا الحادث.

يسأل عن مكانه فتأخذه إحدى الممرضات إليه تلك التي كثيرا ما كانت تحاول إخراجها مما هو فيه والوحيدة التي كان يصارحها ويحدثها ويحلو له الجلوس معها .

تفتح باب الغرفة وهي تنتظر إليه تتحسس لحائط لتضغط على زر إضاءة النور، فتضيء اللبة الوحيدة المتوسطة الغرفة فيجده صديقه على سرير يتوسط الغرفة .

يدخل إلى الغرفة التي يحوطه جدرانها وتحتضنه منذ أكثر من سنة .

كان نائما كعادة الأيام الطوال التي يتكلم فيها ولا ينهض فيها من على سريرة الحديدي، كأنه مقيد عليه تدمع عينيه حيناً ويغلقهما أحياناً كثيرة مصطنع النوم . يطلب من الممرضة أن تتركه معه بعض الوقت حتى يصحوا من نومه فتقول له الممرضة:

-ولكنه لا يقوم من النوم اليوم، ممكن في المساء أو بكرة في الصباح، فهو يأخذ جرعات من المهدئ تجعله في حالة سبات طويلة.

ينظر إليها قائلاً:

-أيا ما كان سأنتظر .

ثم ينظر إليه فتترك هي الغرفة وتغلق الباب خلفها .

يمد يده إليه وهو يتمتم بينه وبين نفسه :

-لن ترحمنا الأيام يا صديقي، فلا تحزن على ماض تركنا
كالأطياف نجتر بين الخطى أثر الماضي الجميل.

كنا وكانت لنا الأيام روضة الأحلام وكنا نرتع بلا اكتراث اليوم
كل ما بيننا صار إلى العدم لا ندرى أي من كل ما صادفنا
نجني منه الأحلام.

بعدها صارت كل أيامنا كالوهم والحلم الذي لم يكتمل صارت لنا
الحياة مرفأ لا يرسى عليه غير الحزن تركتنا في أشد محن الدنيا
ولا ندرى كيف صرت إلى ما صرت إليه من توهة العقل .
هذا العقل الذي طالما حاورنا وهذا الوجه الذي كان يملأ الدنيا
حولنا ابتسامات و أريحه من هم الدنيا .

اليوم ترقد لا تدري عنا شيئاً، ولا ندرى عنك غير جسد مسجى
لا يقوى على أن يتقلب من آلام النوم العميق .

صرت إلى ما صرنا إليه ولكنك لا تدري ما نحن فيه من
عذابات الحياة، أما أنت الآن تهناً في راحة العالم البرزخي ترى
أحلاما قد تكون سعيدة وترى بين كل حين أفراحا كنت تتمناها،

نم هنيئاً ولا تحزن ففي أحلام الغياب راحة من أحلام الواقع الذي نعيشه.

يشرد في المجهول أمامه وهو يكمل:

- يا صديقي إن كنت عن الحياة قد اختفي عقلك وتغيب عن الطرقات وجهك، غير أنك مازلت بين أنفاس الدنيا تأخذ نصيبك ولك في كل هواء حولنا عبير تتنسمه.

يتهد قائلاً :

- بص لي فوق انت ما تعرفنيش، أنا زاهر النكدي.

ينحنى عليه يعرفه بنفسه وقد اشتاق إلى أيام صداقته، ناده .

تململ وفتح عينيه بصعوبة نظر له في دهشة قائلاً:

-أ..نت تعرفني.

ضحك له قائلاً :

-بص لي يا حمار انت مش عارفني؟ أنت كبرت يا مغفل،

فييييييين أيام سهرات البرج.

يندهش تزوغ عيناه يغمضهما .

يتمتم صديقه وهو يربت عليه ودموع عينيه نازفة:

-يااااااااه يا أحمد فينك يا رجل راحت فين أيامك أين أنت؟

ينظر إليه وهو يتابع:

- كنت يا صديقي كعابر سبيل يريد أن يعزف للعالم أنشودة الغرام، كان الحب يسيطر عليه، وكنت من بلد إلى أخرى كان تطوف بنا، لتعلم الكون لحظات الوجد الملتهب من خلال إبداعك الجميل.

يربت على كتفه وقد غض الآخر في نوم عميق، يتابع كأنه يحدثه في برزخه:

-ياااااااااااااه، كم صورت لنا حالات البؤس والشقاء والحرمان والخراب والدمار و التشرذم في كتاباتك التي كنت تأتمنني عليها، كنت واصفا وناقدا للأوضاع التي تحيط بعالمنا.!

كنت تردد دائماً لي كلمات "جبران خليل جبران" عن تلك الأنثى التي كنت تحب.

"ليحب أحدكما الآخر، ولكن لا تجعلا من الحب قيداً، بل اجعلاه بحراً متدفقاً بين شواطئ أرواحكما"

يربت عليه قائلاً:

- نم هنيئاً ولا تحزن ففي أحلام الغياب راحة من أحلام الواقع الذي نعيشه، لقد كانت الدنيا شروق حتى أظلمت أمام أعيننا،

حتى ظننا أننا أصحاب اكبر مشاكل الدنيا تعقيد، فاستسلمنا
لواقع الدنيا المرير بكل لامبالاة.

* * * * *

في الصباح تأتي لزيارته حبيبته تلك الإنسانة التي غيرت معالم
حياته، التي رسمت على خريطة عمره تضاريس لم تكن من
قبل، إنها الأنشودة التي عزف بها طيلة عمره لحن الوفاء،
تتحسس جسده تتحنى تطبع قلبه على خده، تجلس بجواره وهي
تذرف الدمع، تتذكر أجمل لحظاتها التي كانت بين يديه تجلس
تحكى وتقطف من كل بستان للحب زهره ، لقد زرعت من حنانه
حديقة غناء يطرب لها قلبها كلما تذكرته، لم تتخيل إن بعد هذه
الأيام والشهور سوف تراه هكذا، إنه لم يعد كما كان صار رسماً
سريالية لشخص كانت تعرفه جيداً، تذكرت حديثهما الهامس
تحت ظل شجرتهما المفضلة...حبيبتي غدا سوف أقدم
لخطبتك ...

فجأة رأي نظرات زعر انتفضت وهي تقول له:

- لا تأتي فأبى لن يوافق..

يومها نظرت إلي في دهشة قائلاً:

- لماذا...؟! فأنا أريدك بجواري اترك لي الأمر و أنا سوف
أناقش هذا الموضوع فأنا اعرف أن أتفاهم معه ..

يومها حدث ما حدث وكنت أعرف مدى ارتباطك بي وكم
كانت الصدمة لك، غير أنى أصررت وعاهدتك بأني لن أتركك
ولن أرتبط بغيرك.

تنتهد وهي تردد كلماته متممة:

- قالوا بأن الوجد مرير قلت... نعم؛

قالوا بأن الحب أصبح قتيلاً... قلت بلى؛

نعم أنا متمرده... كحلم ضاع من بين جفون طفل صغير،
كبسمة اختفت بين أصوات النواح، كدمعة أنثى تخرس الملايين،
أنا متمرده أنا متمرده... بأحلامي المجنونة التي رسمتها معك،
عن عشق مستحيل بقبلائي التي يشعر بشهدها رضاب شففتيك،
بابتسامتي التي أسكرت قلبك من قبل، بدمعتي التي تهافتت
الأنامل على تناولها قبل أن تسكن قبور شفاهي.

تنتهد بعمق وهي تمسح دموعها المنهمرة التي أغرقت وجهه
وهي تكمل:

- اغفر لي تركي لك تخوض غمار الحياة شهور، فأني العن
سفري مع أهلي، العن كل لحظة مرت بدون لقياك، إنى أمقت
كل لون صباح يأتي بدون أن أراك، كرهت معنى الكلام الذي
يقال من أفواه أناس غير شفتيك، كرهت تمردي الذي كان يهوى
كل كلمة معسولة، كرهت كبريائي الذي حطم رغبت العشاق
على أرض واقعي، كرهت جنوني المدفوع بالحرف، وبالكمات
التي كانت تتسكب بين السطور ، كرهت غيرة النساء التي كان
يرينك معي، أصبحت بدونك أنثى تشبه الورد لا تستطيع الوقف
إلا على ساقها، ورغم أن ساقها أصبحت لا تقوى على تحمل
ذنبي تجاهك.

لحظات جنون تتابني ودلال يشدني إليك فأنا بك غارقة، و
بهواك لا أجد لاكمال أنوثتي إلا بك، ولا يكتمل تمردي إلا بين
يديك، وكنت انتظر قدومك في الأفق البعيد، لتعتقني وتسكنني
بين حناياك، وها قد أتيت وما أجمل هطول المطر بعد الجفاف،
بك نسيت الزمان والمكان ونسيت من أكون، فهل عدت كما
كنت أم أن الفراق ترك بين اللقاء جبلا لا أستطيع صعوده، لا
تتركني ظمأى يجترني الموت إلى عطش الحياة، لا تتركني

أهوي من فوق جبل الفراق لأتحطم و أصير بقايا، انتشلني ومعا
نحطم الجبل ونذيب صخوره.

حبيبي عد فلا الشمس تغرب ولا تشرق إلا بك، ولا القمر
يستدير فيصير بدرا إلا عند رؤياك.

تدخل الممرضة وهى دامعة العين وتقف خلفها وهى تربت
عليها قائلة من بين دموعها :

- هو بخير ما تقلقيش ، الدرجة دى كنت تحبيه .
نظرت إليها وهى لا تقوى على الكلام فأطرقت برأسها وهى
تتمتم:

- ايوه هو عندي ملء الدنيا وما عليها فعلا .
تنظر الممرضة إلى سقف الغرفة قائلة:
- ده هو الحب الحقيقي، مش الأذى اللي يسببه الكذب والرياء
والخداع، لا يُبكي إنسانا بالطريقة اللي شفتك عليها، غير لما
يكون بيحب بصدق.

تتمتم قائلة وهى تنتظر إلى الممرضة:
- لأنه كان من أصدق المخلوقات وفاء وصدق وحب، والحب
بالنسبة إليه زى ما كان يقول لي، يقوى الإنسان ويكسبه خبرة في

الحياة ويمنحه قدرة على التمييز، وكان يردد بأن الحب وحده يكسب الإنسان القوة والقدرة على مواجهة الصعاب في الحياة. يتململ وتصدر من الجسد حركه خفيفة فتسرع الممرضة إلى مسك يده، وتقيس الضغط، وتسرع خارج الغرفة وتأتي بعد ثوان بطبيب ينحني عليه، ويضع سماعته على جسده، ثم يقول للممرضة:

- هاتي محلول ملح و"جلوكوز".

ونظر إلى الملتاعة التي تقف عند رأسه وهو يقول:

- اطمني فهو قد تحسنت حالته، وسيخرج قريب إن شاء الله.

تنظر إليه قائلة :

- هو فعلا سينجو؟

ينظر إليها وهو يقول:

- إن شاء الله، ففي حوادث السير تختلف درجة الإصابة باختلاف العضو المصاب، وارتجاج المخ، إصابة بسيطة إلى حد ما، ويستعيد المريض وعيه بعد الإفاقة من التخدير بشكل كامل إذا تم تخدير لعلاج كسور مثلا، ولكن إصابة المخ أو قاع المخ وحدوث نزيف قد يؤدي إلى غيبوبة، فتكون درجة الإفاقة وعودة الوعي الكامل تبعا لمستوى الإصابة، وتبعا للتجهيزات في

المستشفى التي يعالج فيها المريض، والذي يحدد ذلك هو طبيب المخ والأعصاب، وطبيب التخدير الذي أشرف على العملية، وإذا كان الرأس سليماً، وهذا ما قمنا به على أعلى مستوى من الأهمية فأنتِ كما تعلمين أنه في مستشفى استثماري.

تأتى الممرضة بما طلب وتعلق المحاليل وتعطيه الحقنة وتمر دقائق كأنها دهر بأكمله فيفتح عينيه وهو يتمتم ، فتميل هي عليه وهي متلهفة قائلة :

- حبيبي ونور عيني ماذا حدث أفق ألم تعرفني بعد؟

ينظر إليها وهو تائه ويرفع يده ثم يخفضها فنقول الممرضة لها:

- لا عليكِ، إن شاء الله بكرة هيكون في خير حال، معلى هي انتهت أزمتة ويعود بس الموضوع محتاج شوية الوقت .

تنظر إليه ثم تنظر إلى الممرضة قائلة:

- خلى بالك منه وانا هأجي ازوره تانى، وإن أفاق بلغيني خدى رقم تليفوني يمكن فؤادي يهدأ .

تنظر إليه مرة أخرى وهي تحدث نفسها:

- لقد رسمت في لوحة أيامي ذلك، فلن تغيب عن عقلي، أنت بريشتك طروب وعلى ألوانك طعم الحياة، وفي كل لمسائك

بلوحة عمري خط لا ينحني، فلا تحاول رسم المنحنى، ففي كل لوحات حياتي شموخ وكبرياء الحب، هل تعرف ماذا يعنى الأبيض في سحاب لوحتي.؟ ذفاء الحب العذري لا مطر مترقب، و لون السماء الأزرق صفاء بلا غيوم، لا بل هو تماس لقلبي الحنون، اهرب كما تشاء من معنى كلماتي، تخفى بين الألوان، تلون بكل رسومك، فلن تنساني ولن أنساك.

يومها لم يدر ماذا يفعل حتى استيقظ على ضوء فجر وليد لكي يحارب ذكريات مضت وحنين من الأشواق تبعثرت وضاعت في طرقات بلا معالم، عاند، كابر، وأخفي قلقة بين طيات الذكريات. تترك الغرفة فتتظر الممرضة إلى الطبيب قائلة:

- إن كان الإنسان لديه إنسانة زي البنت دى، لا يسبب الدنيا حتى وإن جاه الموت.

فبيتمس الطبيب وهو يقول لها :

- شهادة الأنثى للأنثى مجروحة، بس إن كانت زي ما بتقولي، فانا شايف، في وصفك أضعاف ما قلت ما بحتيش بيه، و إن كانت فعلا، فحق على الإنسان أن يسبب الدنيا وراء تلك الإنسانة إذا رحلت عن الدنيا يوما، لينعم بجوارها حتى وإن كانت

رفات، وعظام نخرة، يومها هتكون بطن الأرض خير من ظهرها
الذي ملأ بكل المنافقين والحاقدين على البشرية.

* * * * *

الأمل

هكذا تبدو الحياة الخفية التي تحاور وتناور الإنسان، من أجل
نقطة رجوع لدى المشاعر التي تتوه في دروب الحيرة.

تعج أروقة المستشفى بألوان و أشكال البشر ذهاباً وإياباً، كانت
كأنها ممرات مدرسة انطلق بها صوت جرس الفسحة فانطلق
الطلاب من كل حذب وصوب، يتسارعون في كل اتجاه، كانت
أقدام الجميع تتسارع أقدامهم كأنهم على موعد مهم.
كان زاهر ينظر داخل المستشفى وهو متعجب من هذا النشاط
الملحوظ في أروقة المستشفى، كان قد علم بموعد خروج صديقه

اليوم، فأراد أن يكون أول من يراه، بعدما استرد عافيته، فلقد كان كلما زاره أما يجده نائماً أو في حالة توهه، اخذ يسير بين الأجساد المتسارعة حتى وصل إلى غرفة صديقة لكي يطمئن عليه، فوجده في الغرفة واقفا على قدميه ويتحدث مع الممرضة، وما أن رآه حتى أسرع إليه وهو يبتسم في فرح قائلاً:

- أحمد...، حمدا لله على سلامتك يا راجل.

نظر إليه وهو يبتسم و أخذه في حضنه وهو يقول:

- الله يسلمك يا صاحبي كيف حالك أنت.

نظر إليه زاهر وهو يقول :

- الحمد لله المهم أنت.

ضحك وهو يقول:

- ما تخفش عليّ، زى ما بيقلوا "عمر الشقي بقي".

ربت عليه وهو يقول

- المهم أمتي هتخرج .

فقال له:

- دلوقت يا صديقي، يلا نكمل إجراءات الخروج .

ونظر إلى الممرضة وهو يبتسم بامتنان قائلاً:

- صراحة مش عارف كيف أشكرك .

ابتسمت وهي تقول:

- المهم سلامتكم ده واجبي.

ترك المستشفى و أخذه زاهر إلى حيث مسكنه، وما أن وصل إلى شفته و أدار المفتاح في الباب حتى مرت عليه لحظات رهيبية، دلف إلى الداخل كان الظلام ورائحة التراب يسيطران على المكان، أخذت يده تحسس على الحائط، اخرج الـ"موبايل" أضاء فلاش الكاميرا سلطه تجاه الحائط حتى عثر على لوحة المفاتيح الكهربائية، رفع "سكينة الكهرباء" انزل يده إلى مفتاح النور، ضغط عليه أضاءت الصالة، اخذ زاهر ينظر حوله باستغراب، فوجد "الترابيزة" التي تزدهم من ثقل الأشياء التي عليها الكتب المبعثرة، أكواب فارغة، و أتربة منتشرة، وخيوط عناكب في زوايا السقف، يطفئ هو ضوء الفلاش ويضع الـ"موبايل" في جيب سرواله، اخذ زاهر يزيح بعض الأتربة التي على بعض الكتب الملقاة على "الترابيزة"، نفذ عن يده ما علق بها من أتربة.

اخذ أحمد تخطو قدميه على أتربة الأرضية، يصل إلى غرفة نومه، يضئ المصباح يجد التراب سيطر على كل شيء، يسحب ملاءة السرير يلقي بها على الأرض، ترتفع من حولها سحابة خفيفة من الغبار، يمسك بالمخدة يحاول إزالة ما عليها

من أتربة، يلقي بها مرة أخرى على السرير يجد الغبار يتصاعد
من حولها، يخرج تليفونه من جيبه يطلب رقما يأتيه صوت دافئ
ملهوف من الطرف الآخر :

- الو أحمد مش معقولة "الو" أجيني.

يرد عليها:

- أبو أحمد كيف حالك يا حبيبتي.

وكان الزمن توقف لحظة حينما أتاه صوتها مليء بالسعادة
والحب قائلاً:

- حمدا لله على سلامتك أنت فين ؟

أجابها :

- أنا في الشقة دلوقت، محتاج أشوفك.

ردت قائلة :

- اجيلك.....

قاطعها قائلاً :

- لا هنتقابل في النادي "اوكى".

خرج إلى الصالة ونظر إلى زاهر قائلاً:

- هسيبك شويه، هروح النادي اشوف "مس إجببت" وارجعلك.

نظر إليه زاهر في دهشة وهو يقول:

- أنت ما استريحتش، كيف تخرج .

وابتسم وهو يقول:

- هتقابل "مس ايجبت".

ابتسم وهو يربت عليه قائلاً:

- أيوه يا عم .

فقال له زاهر:

- وتتركنى وسط كل التراب ده، لا انزل معاك و أشوفك حد

ينظف ليك الشقة "اوكى".

أعطاه المفتاح وهو يبتسم قائلاً :

- "اوكى" يا صاحبي.

وهبطا إلى الشارع وذهب كل واحد إلى وجهته.

* * * * *

اخذ يسير حتى وصل إلى مكان اللقاء، دخل النادي، اخذ ينظر حوله كأنه غريب عن المكان، لقد تغيرت ملامح كثيرة فيه، اخذ يسير في الحديقة وسط الزهور والخضرة التي تفتش المكان، حتى سمع صوت يعرفه جيدا ينادى عليه بلهفة، نظر خلفه فوجدها أنها هي، كما تركها لم تتغير فيها أي لمح، غير مسحه من الحزن، و الفرحة تكسى وجهها المشرق، أسرع الخطى تجاهها امسك بكفها بين يديه، ترك لحظات للأكف كي يحتضنا مسافات الفراق، كانت الأشواق وكلمات الحب والهيام، تعجز عن وصف حالتها، ووسط هذا البحر الجارف من اللهفة والحنان، سارا حتى وصلا إلى مكانهما المفضل حيث تقف شجرة "الجاكزندا" شامخة وسط أخواتها وكأنها تنتظرهما، أخذت العصافير التي تسكنها تحلق وهي تزقزق بصوتها كأنها تعزف أوركسترا اللقاء، وتمايلت بعض الأغصان حينما رحلت عنها العصافير، فأسقطت بعض أوراقها عليهما، وقفا يحتضن كل

واحد منهما اكف الآخر، وحولهما ترفرف الأجنحة معاناة يوم
الفرح واللقاء.

قال لها:

- انا نويت اسافر وهتيجي معايا مش هسيبك تاني.

قالت وهي تنظر إليه باستغراب:

= على فين.؟

قال لها وهو يشير بيده بحركه مسرحية:

- إلى حيث الحرية إلى حيث الجمال إلى فرنسا.

قالت:

بس بابا.؟

قاطعها قائلاً:

- كفايه بعدنا ، مش من حقه أن يبقى حاكم وجلاد، له أن يعيش

كما يحلو له، ولينا أن نختار ما يعيننا على الحياة بالحب، الحب

ترياق العشاق، هتيجي معايا.؟

نظرت له وهي تضم كفها الرقيق إلى كفه وتحتضنه قائلة:

- هروح معاك إلى أي مكان في الكون.

فجأة، تأتي رياح تهز الأغصان فحلقت العاصفير بقوة بعيداً،

وصمت صوتها وساد في المكان الهدوء إلا من صوت خفيف

الأشجار، فتحت عينيها وهي تنتظر إليه فوجدته يترنح، أخذت تهزه في قوة، صائحة باسمه:

- أحمد مالك رد عليا؟

وفي لهفة أخذت تبحث عن أحد حولها فلم تجد فأخرجت من حقيبتها زجاجة "برفان" و أخذت تسكبها على وجهه وتقربها من انفه ففتح عينيه في صعوبة وهو يتمتم:

- معلى أنا ما نمتش و مستريحتش، طلعت من المستشفى و جيتك على طول؟

انحنت عليه بلهفة وهي تقول :

- و أنت معايا وأنا قلقانه عليك، يلا بينا على البيت هاوصلك.

نظر إليها وهو يقول:

- لا أتصلى بـ"زاهر" من تليفوني فرقمه هتلاقيه فى قايمة الصادر.

أخذت التليفون وبحثت عن الاسم حتى وجدته واتصلت به فقالت له أن يسبقها إلى مسكنه وهي ستوصله إلى هناك.

ساعدته لكي ينهض ووضعت يده على كتفها، و أخذت تسير به حتى وصلت إلى خارج النادي، و أوقفت تاكسي وما هي إلا دقائق حتى وصلت إلى حيث يسكن، ففتحت له باب التاكسي و

أخذت تسنده فوجدت "زاهر" في انتظارهما، اخذ يسنده معها و
أوصلوه إلى شفته.

حينما دلف إلى الشقة وجدها نظيفة، ليس بها أي آثار للفوضى
ولا للأتربة، جلس على أريكة قريبة، و أسرعت إلى فتح النوافذ ثم
نظرت إليه وهي تنظر إلى الشقة، ثم اتجهت إلى الداخل قائلة:
فين اوضة نومك علشان تخش تستريح.

دخلت حيث الغرف و أضاءت الأنوار، ورتبت له سرير وهو
تقول :

- اترح دلوقت وأجيلك بكره أطمئن عليك.

ابتسم ابتسامه واهنة قائلاً:

- ماشى و زاهر هيتولى الموضوع، المهم أن تروحي دلوقت
وماتقلقيش علي، وهيروح معاكى زاهر يوصلك.

ابتسمت قائلة:

- أنا مش عايزه اسيبك تاني لوحدك، خلى زاهر جنبك علشان
أكون مطمئة، ومتخفش عليا علي.

ودعها واغلق زاهر الباب خلفها ثم نظر إليه قائلاً:

- مش قلتلك ما تروحش دلوقت ، المفروض تستريح الاول، على
العموم حمدا لله على سلامتكم مره تانى.

اغمض عينيه ثم فتحهما وهو ينظر إلى ساعة الحائط وهو يتمتم
بينه وبين نفسه:

- الحمد لله لقد أصابتنا الأحداث بوهج التغيير، أنت تعمل
وتتسى همومك، و أنا الان قد قررت أن أكون شخصا جديدا،
سوف أسافر إلى فرنسا منبع الرومانسية وجدول السحر الرقيق
لقلوب العطشى، العالم يقف تبجيلا للرومانسية المشعة منها،
أنتقل لباريس حيث الشوارع هادئة ومبانٍ عريقة..

فرنسا تخبئ للحالمين وذوي الأمزجة الهادئة رغباتهم، بها من
القرى الوداعة التي تجمع بين سحر البراءة، والهدوء ،
والمساحات الخضراء التي تعيد للنفس أحاسيسها العفوية، فانا
اعشق الهدوء.. فما بالك إذا كان ممزوج بالعراقة وعبق التاريخ
ينضح من جوانبه، من عاش بفرنسا لن يستطيع ان يجد لها
بديل أو شبيهه، ولكننا أهل مصر توجد عندنا من سحرت قلوب
كل من رآها من اسكندر إلى آخر جيل في الأرض، ستبقى
الإسكندرية ساحرة القلوب.

نظر إليه وهو يقول:

- انا دلوقت قدامي شركه كبيره في فرنسا، كانت طلبت منى
الأوراق قبل سفرنا بأيام وكنت ما اهتمتتش بالأمر، بس دلوقت

بحثت في "النت" و أنا في المستشفى، ولقيت انهم عيزين دفعة جديدة من مصممين دعاية ولوحات دعائية، لديهم سابقة خبرة.

تنهد زاهر وهو يقول له:

ومس إيجبت هتسيبها.؟

ينظر إليه وهو بيتسم قائلاً:

- لا فهي الروح للجسد ومنبع التألق والوهج، اتفقت معها أن تسافر معي، أفنعتها بان الحب هو الحياة، ولا بد من أن يستمر لنعيش، ووافقت على السفر معي، تاركة كل حاجه وراها.

يتنهد زاهر قائلاً:

وابوها..؟

ينظر احمد إلى الحائط وهو يقول:

قلتلها انه مش هيكون حاكم وجلاد.

نظر زاهر إلى حيث ينظر هو، وتعلق بصر الاثنين بساعة الحائط التي كانت عقاربها تتحرك. فتعجب متسائلاً من أصلحها، هل فكت هي الأخرى قيودها، وقررت العمل وترك كسلها لكي تعمل بإيجاب.

*** **

تمت بفضل الله